الكتاب الجامع للفضائل

متفرقات -ج

الشيخ ندا أبو أحمد



الكتاب الجامع للفضائل

(٧٠)

متفرقات (جـ)

فضل القناعة - فضل كظم الغيظ - فضل المحبة

فضل المواساة - فضل النصرة - فضل النصيحة

فضل الشورى في الإسلام

الشيخ/ندا أبو أحمد





الكتاب الجامع للفضائل

متفرقات (جـ)

تمهيد

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يهد الله فلا مضل له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدهُ ورسولُه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢)

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء:١)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب:٧٠،٧١)

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله ـ تعالىٰ ـ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.



نبض الرسالة

١ - فضل القناعة (من القرآن والسنة وأقوال سلف الأمة).

٢ - فضل كظم الغيظ (من القرآن والسنة وأقوال سلف الأمة).

٣- فضل المحبة (من القرآن والسنة وأقوال سلف الأمة).

٤ - فضل المواساة (من القرآن والسنة وأقوال سلف الأمة).

٥ - فضل النصرة (من القرآن والسنة وأقوال سلف الأمة).

٦ - فضل النصيحة (من القرآن والسنة وأقوال سلف الأمة).

٧- فضل الشورىٰ في الإسلام.

١ـ فضل القناعة[1]:

أولًا: فضل القناعة من القُرآنِ الكريمِ:

القناعةُ من أسبابِ سعادةِ الإنسانِ في هذه الدُّنيا، فمتىٰ تحقَّقَت له بعَثَت في نفسِه السَّكينةَ والرَّاحةَ، وقد رَغَّب القرآنُ الكريمُ فيها، ومِن ذلك.

١- قال تعالىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل:٩٧). وقد رُوِيَ عن عليِّ بنِ أبي طالبٍ ومحمَّدِ بنِ كَعبٍ والحَسَنِ البَصريِّ في تفسيرِ الحياةِ الطَّيِّبةِ: أنَّها القَناعةُ. (جامع البيان للطبري:١٤/ ٣٥٢) (تفسير القرآن العظيم لابن كثير:٢/٣٤٦).

والحياةُ الطَّيِّبةُ تشمَلُ القناعةَ وغيرَها؛ كالعبادةِ في الدُّنيا، والعَمَلُ بالطَّاعةِ، والانشراحُ بها، والرِّزقُ الحلالُ الطَّيِّبُ. (أضواء البيان للشنقيطي:٢/ ٤٤١).

٢- وقال تعالىٰ: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (النور: ٣٢).

قيل: الغِنىٰ: هاهنا القناعةُ. (معالم التنزيل للبغوي:٦/ ٤٠).

٣- وقال سُبحانَه: ﴿وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾ (الحج: ٣٦).

قال مجاهِدٌ-رحمه الله-:" القانِعُ: جارُك الذي يقنَعُ بما أعطيتَه ". (جامع البيان للطبري:١٦/ ٥٦٣)

وقال أبو إسحاقَ الثَّعلبيُّ-رحمه الله-:" القانِعُ من القناعةِ، وهي الرِّضا والتَّعفُّفُ وتَركُ السُّؤالِ ". (الكشف والبيان: ٧/ ٢٣).

وقال الرَّازيُّ-رحمه الله- بعدَ أن ذَكَر أنَّ القانِعَ هو السَّائِلُ:" قال الفَرَّاءُ: والمعنىٰ الثَّاني القانِعُ: هو الذي لا يسأَلُ، من القناعةِ، يقال: قَنِع يَقنَعُ قناعةً: إذا رَضِيَ بما قُسِم له، وتَرَك السُّؤالَ ". (مفاتيح الغيب: ٢٣/ ٢٢٦).

[1] موسوعة الأخلاق والسلوك- الدرر السنية.



٤- وقال تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (البقرة: ٢٠١).

الحَسَنةُ: مُطلَقةٌ، والمعنىٰ: أنَّهم سألوا اللهَ في الدُّنيا الحالةَ الحَسَنةَ، وقد مَثَّل المفسِّرون ذلك بعِدَّةِ أمثلةٍ؛ منها: القناعةُ بالرِّزقِ. (البحر المحيط: ٢/ ٣١٠).

٥- قال تعالىٰ آمِرًا نبيَّه موسىٰ عليه السَّلامُ: ﴿فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (الأعراف: ١٤٤).

قال القُرطبيُّ-رحمه الله-:" وقَولُه تعالىٰ: ﴿فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ﴾ إشارةٌ إلىٰ القناعةِ، أي: اقنَعْ بما أعطيتُك ". (الجامع لأحكام القرآن: ٧/ ٢٨٠).

ثانيًا: فضل القناعة مِنَ السُّنَّةِ النَّبويَّةِ:

١- أخرج الإمام مسلم من حديث عبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو-رَضِيَ اللهُ عنهما- أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال:" قد أفلَح من أسلَمَ، ورُزِقَ كَفافًا، وقَنَّعه اللهُ بما آتاه ".

وقال المُناويُّ-رحمه الله-:" رُزِق كَفافًا، وقنَّعه اللهُ بالكَفافِ، فلم يَطلُبِ الزِّيادةَ ". (فيض القدير: ٤/ ٥٠٨).

وقال المُبارَكْفوريُّ-رحمه الله-:" كَفافًا" أي: ما يَكُفُّ من الحاجاتِ، ويدفَعُ الضَّروراتِ." وقنَّعه اللهُ " أي: جعَله قانعًا بما آتاه ". (التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي:٢/ ١٩٣) (تحفة الأحوذي للمباركفوري:٤/ ٥٠٨).

وقال القُرطبيُّ-رحمه الله-:" معنىٰ هذا الحديثِ: أنَّ مَن فَعَل تلك الأمورَ واتَّصف بها، فقد حَصَل علىٰ مطلوبِه، وظَفِر بمرغوبِه في الدُّنيا والآخِرةِ ". (المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم: ٣/ ٩٩).

٢- وأخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث فَضَالةَ بنِ عُبَيدٍ ﷺ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال:" طُوبىٰ لمن هُدِيَ إلىٰ الإسلامِ، وكان عَيشُه كَفافًا وقَنِعَ به ". (صحيح سنن الترمذي ٢٣٤٩).



وقوله ﷺ:" وكان عيشُه كَفافًا" أي: بقَدرِ كفايتِه، لا يَشغَلُه ولا يُطغيه ". (التيسير للمناوي:٢/ ١١٨).

٣- وأخرج البخاري من حديث أبي هُرَيرةَ رضي الله عنه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يومًا يحَدِّثُ وعنده رجُلٌ من أهلِ الباديةِ، أنَّ رجُلًا من أهلِ الجنَّةِ استأذن ربَّه في الزَّرعِ، فقال له: ألسْتَ فيما شِئتَ؟! قال: بلىٰ، ولكنِّي أحِبُّ أن أزرَعَ! قال: فبَذَر، فبادَرَ[1]الطَّرْفَ[2] نباتُه واستواؤُه واستِحصادُه، فكان أمثالَ الجبالِ! فيقولُ اللهُ عزَّ وجَلَّ: دونَكَ[3] يا ابنَ آدَمَ؛ فإنَّه لا يُشبِعُك شيءٌ! فقال الأعرابيُّ: واللهِ لا تجِدُه إلَّا قُرَشيًّا أو أنصارِيًّا؛ فإنَّهم أصحابُ زَرعٍ، وأمَّا نحنُ فلَسْنا بأصحابِ زَرعٍ! فضَحِك النَّبيُّ ﷺ! ".

قال ابنُ بطَّالٍ-رحمه الله-:" وقولُه:" دونَك يا ابنَ آدَمَ، لا يُشبِعُك شَيءٌ ": يدُلُّ علىٰ فضلِ القناعةِ، والاقتصارِ علىٰ البُلغةِ، وذَمِّ الشَّرَهِ والرَّغبةِ ". (شرح صحيح البخاري: ٦/ ٤٨٩).

٤- وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:" اللَّهُمَّ اجعَلْ رِزقَ آلِ محمَّدٍ قُوتًا ".

والقُوتُ: ما يسُدُّ الرَّمَقَ، والمرادُ به الكَفافُ مِنَ العَيشِ، فلا يطغَون بالإكثارِ، ولا يحسُدهم أهلُ الدُّنيا في أرزاقِهم؛ إذا رآهم الفقيرُ استعمَلَ الرِّضا، وإذا رآهم الغنيُّ استحْيا؛ فطَلَبَ النَّبيُّ ﷺ الكَفافَ؛ فإنَّ القُوتَ: ما يَقوتُ البَدَنَ، ويَكُفُّ عنِ الحاجةِ، وفي هذه الحالةِ سَلَامةٌ مِن آفاتِ الغِنَىٰ والفَقْرِ جميعًا.

---

[1]- فبادَرَ: أي سابقَه، أي: نبَت قَبلَ طَرفةِ عينٍ، واستوىٰ واستحصَد.

(عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني:٢٥/ ١٧٤) (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للقاري:٩/ ٣٦٠٠).

[2]- الطَّرْفُ: امتدادُ لحظِ الإنسانِ إلىٰ أقصىٰ ما يراه، ويُطلَقُ أيضًا علىٰ حركةِ جَفنِ العَينِ، وكأنَّه المرادُ هنا. (فتح الباري لابن حجر:٥/ ٢٧).

[3]- دُونَك بالنَّصبِ علىٰ الإغراءِ، أي: خُذْه. (فتح الباري لابن حجر:٥/ ٢٧).



قال ابنُ حَجَرٍ-رحمه الله-:" أي: اكْفِهِم من القوتِ بما لا يُرهِقُهم إلىٰ ذُلِّ المسألةِ، ولا يكونُ فيه فُضولٌ تبعَثُ علىٰ التَّرفُّهِ والتَّبسُّطِ في الدُّنيا. وفيه حُجَّةٌ لِمن فَضَّل الكَفافَ؛ لأنَّه إنَّما يدعو لنَفسِه وآلِه بأفضَلِ الأحوالِ ". (فتح الباري: ١١/ ٢٧٥).

وقال النَّوويُّ-رحمه الله-:" قال أهلُ اللُّغةِ العَرَبيَّةِ: القُوتُ: ما يَسُدُّ الرَّمَقَ، وفيه فضيلةُ التَّقلُّلِ من الدُّنيا، والاقتصارِ علىٰ القُوتِ منها، والدُّعاءُ بذلك ". (شرح النووي علىٰ صحيح مسلم: ٧/ ١٤٦).

فائدة: جاء في رواية في صحيح البخاري قول النبي ﷺ:" اللَّهمَّ ارزُقْ آلَ محمَّدٍ قُوتًا"، وفي روايةِ مُسلمٍ:" اللَّهمَّ اجعَلْ رِزقَ آلِ محمَّدٍ قُوتًا: وهذه الرواية هو الأَولىٰ؛ وذلك لأنَّ اللَّفظَ الأوَّلَ صالحٌ لأن يكونَ دُعاءً بطَلَبِ القُوتِ في ذلك اليَومِ، بخلافِ اللَّفظِ الثَّاني، فهو دالٌّ علىٰ الكَفافِ علىٰ مُطلَقِ الأيَّامِ.

٥- وأخرج البخاري ومسلم من حديث ابنِ مَسعودٍ رضي الله عنه قال: حدَّثنا رسولُ اللهِ ﷺ وهو الصَّادِقُ المصدوقُ قال:" إنَّ أحَدَكم يُجمَعُ خَلقُه في بطنِ أمِّه أربعين يومًا، ثمَّ يكونُ عَلَقةً مِثلَ ذلك، ثمَّ يكونُ مُضغةً مِثلَ ذلك، ثمَّ يَبعَثُ اللهُ مَلكًا فيُؤمَرُ بأربَعِ كَلِماتٍ، ويقالُ له: اكتُبْ عَمَلَه، ورِزقَه، وأجَلَه، وشقيٌّ أو سعيدٌ ".

وفي الحديثِ: الحثُّ علىٰ القَناعةِ، والزَّجرُ الشَّديدُ عن الحِرصِ؛ لأنَّ الرِّزقَ إذا كان قد سَبَق لم يُغْنِ التَّعَنِّي في طَلَبِه ". (السراج المنير:٢/ ٧٣).

٦- وأخرج البخاري من حديث عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ- رَضِيَ اللهُ عنهما- قال: أخذ رسولُ اللهِ ﷺ بمَنكِبي، فقال:" كُنْ في الدُّنيا كأنَّك غريبٌ أو عابرُ سَبيلٍ ".

قال ابنُ حِبَّانَ-رحمه الله-:" فقد أمَر النَّبيُّ ﷺ ابنَ عُمَرَ في هذا الخبَرِ أن يكونَ في الدُّنيا كأنَّه غريبٌ أو عابرُ سَبيلٍ، فكأنَّه أمَرَه بالقناعةِ باليسيرِ من الدُّنيا؛ إذ الغريبُ وعابرُ السَّبيلِ لا يَقصِدانِ في الغَيبةِ الإكثارَ من الثَّروةِ، بل القناعةُ إليهما أقرَبُ من الإكثارِ من الدُّنيا ". (روضة العقلاء ص: ١٥٧).



ثالثًا: فضل القناعة من أقوالِ السَّلَفِ والعُلَماءِ:

١- قال عبدُ اللهِ بنُ عَبَّاسٍ- رَضِيَ اللهُ عنهما-:" القناعةُ مالٌ لا نفادَ له ". (ذكره ابن عبد ربه في العقد الفريد: ٣/ ١٦٠).

٢- وقال عليُّ بنُ أبي طالبٍ ﷺ:" الرِّزقُ رِزقانِ: فرِزقٌ تَطلُبُه، ورِزقٌ يَطلُبُك، فإنْ لم تأتِه أتاك ". (المصدر السابق).

٣- وقال سعدُ بنُ أبي وقَّاصٍ ﷺ لابنِه:" يا بُنَيَّ، إذا طلَبْتَ الغِنىٰ فاطلُبْه بالقناعةِ؛ فإنَّه من لم يكُنْ له قناعةٌ لم يُغْنِه مالٌ ". (رواه أبو بكر الدينوري في المجالسة وجواهر العلم: ١٨٤٣) (وابن عساكر في (تاريخ دمشق: ٢٠/ ٣٦٣).

٤- وقال زينُ العابدينَ عليُّ بنُ الحسينِ- رَضِيَ اللهُ عنهما-:" مَن قنِع بما قسَم الله له فهو مِن أغنَىٰ النَّاسِ ". (حلية الأولياء لأبي نعيم:٣/ ١٣٥).

٥- وقال عُمَرُ بنُ عبدِ العزيزِ-رحمه الله-:" الفِقهُ الأكبَرُ القناعةُ، وكَفُّ اللِّسانِ ". (أدب المجالسة وحمد اللسان لابن عبد البر ص: ٨٧).

- وقال عُمَرُ بنُ عبدِ العزيزِ أيضًا:" مَن وَعَظ أخاه بنصيحةٍ له في دينِه، ونَظَر له في صلاحِ دُنياه، فقد أحسَنَ صِلَتَه، وأدَّىٰ واجِبَ حَقِّه، فاتَّقوا اللهَ؛ فإنَّها نصيحةٌ لكم في دينِكم فاقبَلوها، وموعظةٌ مُنجيةٌ من العواقِبِ فالزَموها؛ فالرِّزقُ مقسومٌ، ولن يَعدوَ المرءُ ما قُسِمَ له، فأجمِلوا في الطَّلَبِ؛ فإنَّ في القُنوعِ سَعةً وبُلغةً، وكفًّا عن كُلفةٍ ". (القناعة والتعفف لابن أبي الدنيا ص: ٦٤).

٦- وقال أكثَمُ بنُ صَيفيٍّ-رحمه الله- لابنِه:" يا بُنَيَّ، من لم يَأْسَ علىٰ ما فاته ودعَ بدنه، ومن قَنِع بما هو فيه قرَّت عينُه ". (روضة العقلاء لابن حبان ص: ١٤٩) (أمثال الحديث لأبي الشيخ الأصبهاني ص٤١٨).

- وقال أكثَمُ أيضًا:" من رَضِيَ بالقَسمِ طابت معيشتُه، ومن قَنِع بما هو فيه قرَّت عينُه ".

(القناعة والتعفف لابن أبي الدنيا ص: ٥٩).



- وقال أيضًا:" من باع الحِرصَ بالقناعةِ ظَفِر بالغِنىٰ والثَّروةِ ". (أدب الدنيا والدين للماوردي ص: ٢٨٠).

٧- وقال محمَّدُ بنُ عَليٍّ الكتَّانيِّ-رحمه الله-:" من باع الحِرصَ بالقناعةِ، ظَفِر بالعِزِّ والمروءةِ ". (الزهد الكبير للبيهقي:٩٢).

٨- وقال بكرُ بنُ عبدِ اللهِ المُزَنيُّ-رحمه الله-:" يكفيك من الدُّنيا ما قَنِعْتَ به، ولو كَفَّ تمرٍ، وشَربةَ ماءٍ، وظِلَّ خِباءٍ، وكلَّما انفَتَح عليك من الدُّنيا شيءٌ ازدادت نفسُك به تعَبًا! ". (القناعة والتعفف لابن أبي الدنيا ص: ٦٢)

٩- قال وَهبُ بنُ مُنبِّهٍ-رحمه الله- لعطاءٍ الخُراسانيِّ:" وَيْحَك يا عطاءُ! ألم أُخبَرْ أنَّك تحمِلُ عِلمَك إلىٰ أبوابِ الملوكِ وأبناءِ الدُّنيا، وَيْحَك يا عطاءُ! تأتي من يُغلِقُ عنك بابَه، ويُظهِرُ لك فَقرَه، ويُواري عنك غِناه! وتدَعُ من يفتحُ لك بابَه ويُظهِرُ لك غِناه، ويقولُ: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر: ٦٠). يا عطاءُ! أترضىٰ بالدُّونِ من الدُّنيا مع الحِكمةِ، ولا ترضىٰ بالدُّونِ من الحِكمةِ مع الدُّنيا؟! وَيْحَك يا عطاءُ! إن كان يُغنيك ما يكفيك فإنَّ أدنىٰ ما في الدُّنيا يكفيك، وإن كان لا يُغنيك ما يكفيك فليس في الدُّنيا شيءٌ يكفيك. وَيْحَك يا عطاءُ! إنَّما بَطنُك بحرٌ من البُحورِ، ووادٍ من الأوديةِ، ولا يملؤُه شيءٌ إلَّا التُّرابُ!". (رواه أحمد في الزهد: ١٤٢٤) (وابن أبي الدنيا في القناعة والتعفف ص: ٦٧) (وأبو نعيم في حلية الأولياء: ٤/ ٤٣).

١٠- وقال نعيمُ بنُ حمَّادٍ-رحمه الله-:" سمِعتُ ابنَ المبارَكِ يقولُ: مروءةُ القناعةِ أفضَلُ من مروءةِ الإعطاءِ ". (روضة العقلاء لابن حبان ص: ١٥٩).

١١- وقال أبو سُليمانَ الدَّارانيُّ-رحمه الله-:" إنَّ قومًا طَلَبوا الغِنىٰ فحَسِبوا أنَّه في جمعِ المالِ، ألا وإنَّما الغِنىٰ في القناعةِ، وطلَبوا الرَّاحةَ في الكثرةِ، وإنما الرَّاحةُ في القِلَّةِ، وطلَبوا الكرامةَ من الخَلقِ، ألا وهي في التَّقوىٰ، وطلَبوا النِّعمةَ في اللِّباسِ الرَّقيقِ واللَّيِّنِ وفي طعامٍ طَيِّبٍ، والنِّعمةُ في الإسلامِ السَّترُ والعافيةُ ". (الزهد الكبير للبيهقي ص: ٨٠).



١٢- وسُئِل أبو الحَسَنِ البُوشَنجيُّ -رحمه الله- عن القناعةِ؟ فقال:" المعرفةُ بالقِسمةِ ". (الزهد الكبير للبيهقي ص: ٨٤).

١٣- وقال أبو سُلَيمانَ -رحمه الله-:" سمعتُ أختي تقولُ: الفُقراءُ كُلُّهم أمواتٌ إلَّا من أحياه اللهُ تعالىٰ بعِزِّ القناعةِ، والرِّضا بفَقرِه ". (صفة الصفوة لابن الجوزي:٢/ ٤٣١).

١٤- وقال الحَسَنُ -رحمه الله-:" لا تزالُ كريمًا علىٰ النَّاسِ - أو لا يزالُ النَّاسُ يُكرِمونك- ما لم تُعاطِ ما في أيديهم، فإذا فعَلْتَ ذلك استخَفُّوا بك، وكَرِهوا حديثَك وأبغَضوك ". (حلية الأولياء لأبي نعيم:٣/ ٢٠).

١٥- وقال مالِكُ بنُ دينارٍ -رحمه الله-:" أزهَدُ النَّاسِ مَن لا تتجاوَزُ رَغبتُه من الدُّنيا بُلْغَتَه ". (أدب الدنيا والدين للماوردي ص: ٢٢٧).

١٦- وقال أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ أبي سليمانَ الصوَّافُ -رحمه الله-:" ليس شيءٌ أروحَ علىٰ الإنسانِ مِن الزُّهدِ في الدُّنيا. ولا للقلوبِ أروحَ مِن القناعةِ ". (ترتيب المدارك للقاضي عياض:٤/ ٣٦٩).

١٧- وقال ابنُ حِبَّانَ -رحمه الله-:" مِن أكثَرِ مواهِبِ اللهِ لعبادِه وأعظَمِها خطَرًا القناعةُ، وليس شيءٌ أروَحَ للبدَنِ من الرِّضا بالقضاءِ، والثِّقةِ بالقَسْمِ، ولو لم يكُنْ في القناعةِ خَصلةٌ تُحمَدُ إلَّا الرَّاحةُ، وعدمُ الدُّخولِ في مواضِعِ السُّوءِ لطَلَبِ الفَضلِ، لكان الواجِبُ علىٰ العاقِلِ ألَّا يفارِقَ القناعةَ علىٰ حالةٍ من الأحوالِ ". (روضة العقلاء ص: ١٥٧).

- وقال أيضًا:" القناعةُ تكونُ بالقلبِ؛ فمَن غَنِي قلبُه غَنِيت يداه، ومن افتقَرَ قَلبُه لم ينفَعْه غِناه، ومن قَنِع لم يتسَخَّطْ، وعاش آمنًا مُطمَئِنًّا، ومن لم يقنَعْ لم يكُنْ له في الفوائِتِ نهايةٌ لرغبتِه، والجَدُّ والحرمانُ كأنَّهما يصطَرِعانِ بَينَ العبادِ ". (روضة العقلاء ص: ١٥٩).

١٨- وقال الرَّاغِبُ -رحمه الله-:" الفَقرُ أربعةٌ: فَقرُ الحَسَناتِ في الآخِرةِ، وفَقرُ القناعةِ في الدُّنيا، وفَقرُ المُقتَنىٰ، وفَقرُها جميعًا، والغِنىٰ بحَسَبِه؛ فمن حَصَل له في الدُّنيا فقدُ القناعةِ والمُقتَنىٰ فهو الفقيرُ المُطلَقُ علىٰ سبيلِ الذَّمِّ، ولا يقالُ له غَنيٌّ بوَجهٍ ". (تفسير الراغب الأصفهاني: ١/ ٥٦٤).



١٩- وقال ابنُ الجوزيِّ-رحمه الله-:" من قَنِع طاب عَيشُه، ومن طَمِع طال طَيشُه ".

(تذكرة الحفاظ للذهبي:٤/ ٩٤).

ومن فضل وفوائِدُ القناعةِ كذلك:

١- سَبَبٌ لنَيلِ محبَّةِ اللهِ.

٢- علامةُ كَمالِ الإيمانِ.

٣- تجعَلُ الإنسانَ يعيشُ حياةً هَنيئةً طَيِّبةً.

٤- تُشيعُ المودَّةَ، وتنشُرُ المحبَّةَ بَينَ النَّاسِ.

٥- تَكسِبُ الإنسانَ قوَّةَ الإيمانِ، والثِّقةَ به، والرِّضا بما قُسِم.

٦- سَبيلٌ لراحةِ النَّفسِ، والبُعدِ عن الهُمومِ.

٧- وقايةٌ من الغِيبةِ والنَّميمةِ والحَسَدِ.

٨- طريقٌ مُوصِلٌ إلىٰ الجنَّةِ.

٩- سببٌ للبركةِ.

١٠- عِزٌّ للنَّفسِ.

١١- تكسِبُ صاحِبَها غنىٰ النَّفسِ.

١٢ فيها تحقيقٌ لشُكرِ اللهِ تعالىٰ علىٰ نِعَمِه.

١٣- تعفُّفٌ عمَّا في أيدي النَّاسِ. (نضرة النعيم:٨/ ٣٢٣٥)، (الأخلاق الإسلامية وأسسها لعبد الرحمن الميداني:٢/ ٣٦٣).



٢- فضل كظم الغيظ[١]:

أولًا: فضل كظم الغيظ مِن القُرآنِ الكَريم:

١- قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ(١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٤،١٣٣).

قال ابنُ عاشورٍ-رحمه الله-: وقوله تعالىٰ: ﴿الكاظِمينَ الغَيظَ﴾، وكَظمُ الغَيظِ: إمساكُه وإخفاؤُه حتَّىٰ لا يظهَرَ عليه، وهو مَأخوذٌ مِن كَظمَ القِربةَ: إذا مَلَأها وأمسَك فمَها، قال المُبَرِّدُ: فهو تمثيلٌ للإمساكِ مع الامتِلاءِ، ولا شَكَّ أنَّ أقوىٰ القوىٰ تأثيرًا علىٰ النَّفسِ القوَّةُ الغاضِبةُ، فتَشتَهي إظهارَ آثارِ الغَضَبِ، فإذا استَطاعَ إمساكَ مَظاهِرِها، مع الامتِلاءِ منها، دَلَّ ذلك علىٰ عَزيمةٍ راسِخةٍ في النَّفسِ، وقَهرِ الإرادةِ للشَّهوةِ، وهذا مِن أكبَرِ قوىٰ الأخلاقِ الفاضِلة ". (التحرير والتنوير: ٤/ ٩١).

قال الطِّيبيُّ-رحمه الله-:" وإنَّما حُمِد الكَظمُ؛ لأنَّه قَهرٌ للنَّفسِ الأمَّارةِ بالسُّوءِ؛ ولذلك مَدَحهم اللهُ تعالىٰ بقَولِه: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾، ومن نهىٰ النَّفسَ عن هواه فإنَّ الجَنَّةَ مَأواه، والحورُ العِينُ جَزاه، قُلتُ: وهذا الثَّناءُ الجَميلُ، والجَزاءُ الجَزيلُ إذا ترَتَّبَ علىٰ مُجَرَّدِ كَظمِ الغَيظِ، فكيف إذا انضَمَّ العَفوُ إليه، أو زادَ بالإحسانِ عليه؟! ". (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للقاري:٨/ ٣١٨١).

٢- قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ(٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (فصلت: ٣٤-٣٥).

---

[١]- موسوعة الأخلاق والسلوك- الدرر السنية.



قال الزَّجَّاجُ-رحمه اللهُ-:" وما يُلقَّىٰ هذه الفَعلةَ وهذه الحالةَ - وهي دَفعُ السَّيِّئةِ بالحَسَنةِ- إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا علىٰ كَظمِ الغَيظِ، واحتِمالِ المَكروهِ ". (التفسير الوسيط للواحدي:٤/ ٣٦) (معالم التنزيل للبغوي:٤/ ١٣٤).

٣- وقال تعالىٰ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ (النحل: ١٢٦).

قال الطَّبَريُّ-رحمه اللهُ-:" يقولُ تعالىٰ للمُؤمِنينَ: وإن عاقَبتُم أيُّها المُؤمِنونَ مَن ظَلَمَكم واعتَدىٰ عليكم، فعاقِبوه بمِثلِ الذي نالكم به ظالِمُكم مِن العُقوبةِ، ولَئِن صَبَرتُم عن عُقوبَتِه واحتَسبتُم عندَ اللهِ ما نالكم به مِن الظُّلمِ، ووَكَلتُم أمرَه إليه، حتىٰ يكونَ هو المُتَولِّيَ عُقوبتَه لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ يقولُ: للصَّبرُ عن عُقوبتِه بذلك خَيرٌ لأهلِ الصَّبرِ احتِسابًا، وابتِغاءَ ثَوابِ اللهِ؛ لأنَّ اللهَ يُعَوِّضُه مِن الذي أرادَ أن ينالَه بانتِقامِه مِن ظالِمِه علىٰ ظُلمِه إيَّاه مِن لذَّةِ الانتِصارِ، وهو مِن قَولِه: لَهُوَ كِنايةً عن الصَّبرِ، وحَسُن ذلك، وإن لم يكُنْ ذُكِرَ قَبلَ ذلك الصَّبرُ؛ لدَلالةِ قَولِه: وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ عليه ". (جامع البيان: ١٧/ ٣٢٢).

٤- وأخبَرَ اللهُ تعالىٰ عن رَجُلٍ جاءَ مِن أقصىٰ المَدينةِ يسعىٰ حِرصًا علىٰ نُصحِ قَومِه ودَعوَتِهم إلىٰ الإيمانِ بالرُّسُلِ الذين أُرسِلوا إليهم واتِّباعِهم، فلم يَقبَلوا نُصحَه بل قَتَلوه! فقال تعالىٰ: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَالَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ(٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ (يس: ٢٦،٢٧).

قال القُرطُبيُّ-رحمه اللهُ-:" وفي هذه الآيةِ تنبيهٌ عَظيمٌ، ودَلالةٌ علىٰ وُجوبِ كَظمِ الغَيظِ، والحِلمِ عن أهلِ الجَهلِ، والتَّرؤُّفِ علىٰ من أدخَلَ نفسَه في غِمارِ الأشرارِ وأهلِ البَغيِ، والتَّشَمُّرِ في تخليصِه، والتَّلَطُّفِ في افتِدائِه، والاشتِغالِ بذلك عن الشَّماتةِ به والدُّعاءِ عليه؛ ألا ترىٰ كيف تمَنَّىٰ الخَيرَ لقَتَلَتِه، والباغينَ له الغَوائِلَ، وهم كَفَرةٌ عَبَدةُ أصنامٍ؟! ". (الجامع لأحكام القرآن:١٥/ ٢٠).

٤- وقال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾(سورة الشورىٰ: ٣٧)



قال الشيخ السعدي-رحمه الله- في تفسير هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ﴾ والفرق بين الكبائر والفواحش- مع أن جميعهما كبائر- أن الفواحش هي الذنوب الكبار التي في النفوس داع إليها، كالزنا ونحوه، والكبائر ما ليس كذلك، هذا عند الاقتران، وأما مع إفراد كل منهما عن الآخر فإن الآخر يدخل فيه. ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ أي: قد تخلقوا بمكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، فصار الحلم لهم سجية، وحسن الخلق لهم طبيعة حتىٰ إذا أغضبهم أحد بمقاله أو فعاله، كظموا ذلك الغضب فلم ينفذوه، بل غفروه، ولم يقابلوا المسيء إلا بالإحسان والعفو والصفح. فترتب علىٰ هذا العفو والصفح، من المصالح ودفع المفاسد في أنفسهم وغيرهم شيء كثير، كما قال تعالىٰ: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾

ثانيًا: فضل كظم الغيظ من السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ المطهرة:

١ – كظم الغيظ وعدم الغضب وصية الرسول –صلىٰ الله عليه وسلم-:

فقد أخرج البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ:" أن رجلا قال للنبي ﷺ: أوصني، قال: لا تغضب، فردد مرارًا: لا تغضب ".

فدل هذا الحديث علىٰ أن الغضب هو جماع الشر، وأن التحرر منه هو جماع الخير، فيا لها من وصية جامعة مانعة، استقلها هذا الرجل وطلب من النبي ﷺ أن يزيده ولكن النبي ﷺ اقتصر علىٰ ذلك فقط، فعلم أن النجاة في عدم الغضب.

وأخرج الإمام أحمد بسند صحيح عن عبد الرحمن بن عوف ﷺ عن رجل من أصحاب النبي ﷺ:" أن رجلا قال للنبي ﷺ أخبرني بكلمات أعيش بهم ولا تكثر علي فأنسىٰ، قال: اجتنب الغضب، ثم أعاد عليه فقال: اجتنب الغضب ". (السلسلة الصحيحة:٨٨٤)



٢- الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هُرَيرةَ ﷺ أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قال:" ليس الشَّديدُ بالصُّرَعةِ[١]، إنَّما الشَّديدُ الذي يملِكُ نفسَه عندَ الغضَبِ ".

وأخرجه النسائي في" السنن الكبرىٰ" بلفظ:" ليس الشَّدِيدُ مَنْ غَلَبَ الناسَ إِنَّما الشَّدِيدُ مَنْ غَلَبَ نفسَهُ ". (صحيح الترغيب: ٢٧٥٠)

قال النَّوَويُّ-رحمه الله-:" فيه كَظمُ الغَيظِ، وإمساكُ النَّفسِ عندَ الغضَبِ عن الانتِصارِ والمُخاصَمةِ والمُنازَعةِ ". (شرح النووي علىٰ مسلم: ١٦/ ١٦٢).

وقال المُناويُّ-رحمه الله-:" وقوله ﷺ:" ليس الشَّديدُ بالصُّرَعةِ"، بضَمٍّ ففَتحٍ: مَن يصرَعُ النَّاسَ بقوته، أي: ليس القَويُّ مَن يقدِرُ علىٰ صَرعِ الأبطالِ مِن الرِّجالِ، "إنَّما الشَّديدُ" علىٰ الحَقيقةِ "الذي يملِكُ نفسَه عندَ الغضَبِ"، أي: إنَّما القويُّ حَقيقةً الذي كَظمَ غَيظَه عندَ ثَورانِ الغضَبِ، وقاوَمَ نفسَه، وغَلَبَ عليها، فحُوِّل المعنىٰ فيه مِن القوَّةِ الظَّاهِرةِ إلىٰ الباطِنةِ ". (التيسير بشرح الجامع الصغير:٢/ ٣٢١).

وقال ابن القيم-رحمه الله-:" أي مالك نفسه عند الغضب أولىٰ أن يسمىٰ شديدًا من الذي يصرع الرجال.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-:" ولهذا كان القوي الشديد هو الذي يملك نفسه عند الغضب، حتىٰ يفعل ما يصلح دون ما لا يصلح، فأما المغلوب حين غضبه فليس هو شجاع ولا شديد ".

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال:" فما تعدون الصَرَعَةُ فيكم، قال: قلنا: الذي لا يصرعه الرجال، قال: ليس بذلك، ولكنه الذي يملك نفسه عند الغضب ".

يقول عكرمة-رحمه الله- في قوله تعالىٰ: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ (آل عمران:٣٩) قال:" السيد الذي يملك نفسه عند الغضب ولا يغلبه غضبه ".

---

[١]- الصُّرَعَة: الذي يصرعُ الناس ويغلبهم.



وأخرج البزار عن أنس ﷺ قال:" أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِقَوْمٍ يَصْطَرِعُونَ فَقَالَ:" مَا هَذَا؟ قَالُوا: فُلَانٌ مَا يُصَارِعُ أَحَدًا إِلَّا صَرَعَهُ، قَالَ: أَفَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ؟ رَجُلٌ كَلَّمَهُ رَجُلٌ فَكَظَمَ غَيْظَهُ فَغَلَبَهُ وَغَلَبَ شَيْطَانَهُ وَغَلَبَ شَيْطَانَ صَاحِبِهِ". (قال الحافظ ابن حجر: إسناده جيد)

فيـا رب هـب لي منـك حلمـًا فإنني أرىٰ الحلم لم يندم عليه كريم

وأخرج البيهقي عن عامر بن سعدٍ ﷺ:" أن النبي ﷺ مر بناس يتحادُّون مِهْرَاسًا، فقال: أتحسبون الشِّدة في حمل الحجارة؟ إنما الشدةُ أن يمتلئَ الرجل غيظا ثم يغلبه ".

- وفي رواية:" أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِقَوْمٍ يَرْفَعُونَ حَجَرًا، فَقَالَ:" مَا يَصْنَعُ هَؤُلَاءِ؟". قَالُوا: يَرْفَعُونَ حَجَرًا يُرِيدُونَ الشِّدَّةَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:" أَفَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ؟ - أَوْ كَلِمَةٌ نَحْوَهَا- الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ ".

٣- كظم الغيظ سبب للفوز بدرجة المحسنين ومحبة رب العالمين:

قال تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٤)

وليس هناك أفضل من درجة الإحسان والفوز بمحبة الرحمن، فمرتبة الإحسان هي أعلىٰ مراتب الدين.

وقد أخرج الحاكم والبيهقي وضعفه عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله ﷺ:

" ثلاثة من كن فيه آواه الله في كنفه، وستر عليه برحمته، وأدخله في محبته، قيل: وما هن يا رسول الله؟ قال: من إذا أعطي شكر، وإذا قدر غفر، وإذا غضب فتر ".



٤ - كظم الغيظ من أفضل الأعمال:

- وأخرج الإمام أحمد وابن ماجه والبخاري في" الأدب المفرد" من حديث ابنِ عُمَرَ-رَضيَ اللهُ عنهما- قال: قال رَسولُ اللهِ ﷺ:" ما مِن جُرعةٍ أعظَمُ أجرًا عندَ اللهِ مِن جَرعةِ غَيظٍ كَظمَها عَبدٌ ابتِغاءَ وَجهِ اللهِ". (صحيح سنن ابن ماجه: ٤١٨٩) (وصححه شعيب الأرناؤوط في تخريج مسند أحمد: ٦١١٤).

والمعنىٰ:" ما مِن جُرعةٍ أعظَمُ أجرًا عندَ اللهِ تعالىٰ مِن جُرعةِ غَيظٍ كَظمَها عَبدٌ، مع القُدرةِ علىٰ التَّنفيذِ، شَبَّه جَرعَ غَيظِه وردَّه إلىٰ باطِنِه بتَجرُّعِ الماءِ، وهي أحَبُّ جُرعةٍ يتَجرَّعُها العَبدُ، وأعظَمُها ثَوابًا، وأرفَعُها دَرَجةً؛ لحَبسِ نفسِه عن التَّشَفِّي، ولا يحصُلُ هذا العِظمُ إلَّا عندَ القُدرةِ علىٰ الانتِقامِ، وبكَفِّ غَضَبِه للهِ تعالىٰ، ابتِغاءَ وجهِ اللهِ تعالىٰ". (فيض القدير للمناوي:٥/ ٤٧٦).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله- كما في" الاستقامة ٢|٢٧٢":" ما تجرع عبد جرعة أعظم من جرعة حلم عند الغضب، وجرعة صبر عند المصيبة".

٥ - كظم الغيظ سبب لزيـادة الإيـمـان:

فقد أخرج الإمام أحمد من حديث ابن عباس-رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال:" ما من جرعة أحب إليّ من جرعة غيظ يكظمها عبد، ما كظمها عبد لله إلا ملأ الله جوفه إيمانًا".

٦ - كظم الغيظ سبب في قوة الرجاء:

أخرج الطبراني في الكبير بسند حسن أن النبي ﷺ قال:" من كظم غيظه ولو شاء أن يمضيَهُ أمضاه، ملأ الله قلبه رجاءً يوم القيامة". (الصحيحة:٩٠٦)

٧- كظم الغيظ سبب للنجاة من غضب الله تعالىٰ:

وقد مر بنا الحديث الذي أخرجه ابن حبان عن عبد الله بن عمرو-رضي الله عنهما- قال: قلت يا رسول الله: ما يمنعني من غضب الله؟ قال:" لا تغضب".

وأخرج الإمام مسلم عن أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال: كنت أضرب غلامًا لي بالسوط فسمعت صوتًا من خلفي يقول:" اعلم أبا مسعود"، فلم أفهم الصوت من الغضب، قال: فلما دنا مني إذا



هو رسول الله ﷺ فإذا هو يقول:" اعلم أبا مسعود أنّ الله أقدر عليك منك علىٰ هذا الغلام "، قال: فقلت: لا أضرب مملوكًا بعده أبدًا. - وفي رواية: فقلت: يا رسول الله! هو حُرٌّ لوجه الله، فقال:" أما لو لم تفعل للفحتك النار أو لمستك النار".

وكان أبو الدرداء ﷺ يقول:" أقرب ما يكون العبد من غضب الله إذا غضب، واحذر أن تظلم من لا ناصر له إلا الله ". (البيان والتبيين ١/ ٤٥٦).

وقال بعض الحكماء:" من ذكر قدرة الله لم يستعمل قدرته في ظلم عباد الله ".

٨ - كظم الغيظ سبب للنجاة من عذاب الله يوم القيامة:

فقد أخرج ابن أبي عاصم في" الزهد" وأبو يعلىٰ في مسنده من حديث أنس بن مالك ﷺ أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قال:" مَنْ كَفَّ غضبَهُ كَفَّ اللهُ عنهُ عذابَهُ، ومَنْ خزنَ لسانَهُ سترَ اللهُ عَوْرَتَهُ، ومَنِ اعْتَذَرَ إلىٰ اللهِ قَبِلَ اللهُ عُذْرَهُ ". (السلسلة الصحيحة: ٢٣٦٠)

قال عبد الله بن مسلم بن محارب لهارون الرشيد-رحمه الله-:" يا أمير المؤمنين، أسألك بالذي أنت بين يديه أذل مني بين يديك، وبالذي هو أقدر علىٰ عقابك منك علىٰ عقابي إلا عفوت عني، فعفا عنه لما ذكَّرهُ قدرة الله تعالىٰ ".

٩- كظم الغيظ والعفو عن الناس سبب لعفو الله يوم القيامة:

من كظم غيظه وعفا عن الناس وأصلح، فان الله تعالىٰ سيعفو عنه يوم القيامة ويغفر له، والجزاء من جنس العمل، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (النور: ٢٢).

وقال النبي ﷺ كما عند الطبراني من حديث جرير:" إنما يرحم الله من عباده الرحماء " (صحيح الجامع: ٣٢١٨)

قال رجاء بن حيوة لعبد الملك بن مروان لما تمكن من بعض أعدائه وأَسَرَهُم:" إن الله قد أعطاك ما تحب من الظفر، فأعط الله ما يحب من العفو ".



١٠ - كظم الغيظ سبب للمباهاة علىٰ رءوس الخلائق والفوز بالحور العين:

فقد أخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي بسند حسن عن معاذ بن أنس ﵁ أن النبي ﷺ قال:" من كظم غيظًا وهو يقدر علىٰ أن ينفذه دعاه الله تعالىٰ علىٰ رءوس الخلائق يوم القيامة حتىٰ يُخيِّرَهُ الله من الحور العين ما شاء ". (صحيح الجامع: ٦٥٢٢)

- وعند أبي داود بلفظ:" من كظم غيظًا وهو قادر علىٰ أن يُنْفِذَهُ دعاه الله ﷻ علىٰ رءوس الخلائق يوم القيامة حتىٰ يخيره من الحور العين ما يشاء ".

١١ - كظم الغيظ سبب لدخول الجنّة:

﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٤-١٣٦)

وأخرج الطبراني في" الكبير" وابن أبي الدنيا عن أبي الدرداء ﵁ قال: قال رجلٌ لرسول الله ﷺ دلني علىٰ عمل يدخلني الجنّة؟ قال:" لا تغضب ولك الجنّة ". (صحيح الجامع: ٧٣٧٤)

فضل وفوائد كظم الغيظ مِن أقوالِ السَّلَفِ والعُلماءِ:

١- قال عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ ﵁:" مَن خاف اللهَ لم يَشفِ غَيظَه، ومَن اتَّقىٰ اللهَ لم يصنَعْ ما يُريدُ، ولولا يومُ القيامةِ لكان غَيرُ ما ترونَ! ".

(رواه أبو داود في الزهد: ٩٨) (وأبو نعيم في حلية الأولياء: ٨/ ٥٨)، (وابن عساكر في تاريخ دمشق: ٤٤/ ٣٠٩).

٢- وقال عَليٌّ ﵁:" دُمْ علىٰ كَظمِ الغَيظِ تَحمَدْ عَواقِبَك ". (روض الأخيار للأماسي ص: ٣٤٢).

٣- وقال الحَسَنُ-رحمه الله-:" قَطرَتانِ وجُرعتانِ؛ فما جُرعةٌ أحَبَّ إلىٰ اللهِ عَزَّ وجَلَّ مِن جُرعةِ غَيظٍ يكظِمُها عَبدٌ بحِلمٍ يبتغي بذلك وجهَ اللهِ، وجُرعةِ مُصيبةٍ مُوجِعةٍ يصبِرُ عليها عندَ اللهِ، قال: وما قَطرةٌ أحَبَّ إلىٰ اللهِ عَزَّ وجَلَّ مِن قَطرةِ دَمٍ في سَبيلِه، أو قَطرةِ دَمعٍ مِن عَبدٍ ساجِدٍ في جَوفِ اللَّيلِ لا يرىٰ مَكانَه إلَّا اللهُ عَزَّ وجَلَّ ". (شعب الإيمان للبيهقي: ١٠/ ٥٤٩).



٤- وعن وَهبِ بنِ كَيسانَ-رحمه الله- قال:" كَتَبَ إليَّ عَبدُ اللهِ بنُ الزُّبَيرِ بمَوعِظةٍ: أمَّا بَعدُ، فإنَّ لأهلِ التَّقوىٰ عَلاماتٍ يُعرفونَ بها، ويَعرِفونَها مِن أنفُسِهم: صِدقُ الحَديثِ، وأداءُ الأمانةِ، وكَظمُ الغَيظِ، وصَبرٌ علىٰ البلاءِ، ورِضًا بالقَضاءِ، وشُكرٌ للنَّعماءِ، وذُلٌّ لحُكمِ القُرآنِ ". (البداية والنهاية لابن كثير:١٢/ ٢١٩). (حلية الأولياء لأبي نعيم:١/ ٣٣٦).

٥- وقال سُفيانُ الثَّوريُّ-رحمه الله-:" إيَّاكم والبِطنةَ؛ فإنَّها تقسِّي القَلبَ، واكظِموا الغَيظَ، ولا تُكثِروا الضَّحِكَ؛ فإنَّه يُميتُ القُلوبَ ". (حلية الأولياء لأبي نعيم:٧/ ٣٦).

٦- وقال مورِّقٌ العِجليُّ-رحمه الله-:" ما امتَلَأتُ غَيظًا قطُّ، ولا تكَلَّمتُ في غَضَبٍ قطُّ فأندَمَ عليه إذا رَضيتُ، ولقد تعَلَّمتُ الصَّمتَ عَشرَ سِنينَ ". (الزهد والرقائق لابن المبارك:٢/ ١١).

٧- وقال الأحنَفُ-رحمه الله-: مَن لم يصبِرْ علىٰ كَلِمةٍ سَمِعَ كَلِماتٍ، وقال: رُبَّ غَيظٍ تجَرَّعتُه مَخافةَ ما هو أشَدُّ منه ". (البيان والتبيين للجاحظ:٢/ ٥٠).

- وقال أيضًا:" قوَّةُ الحِلمِ علىٰ الغَضَبِ أفضَلُ مِن قوَّةِ الانتِقامِ ". (ربيع الأبرار للزمخشري:٢/ ٢٢١).

- وقال أيضًا:" كُنَّا نعُدُّ المُروءةَ الصَّبرَ علىٰ كَظمِ الغَيظِ، ومَن لم يصبِرْ علىٰ كَلِمةٍ سَمِعَ كَلِماتٍ ". (المصدر السابق).

٨- وقال أبو خارجةَ عَنبَسةُ بنُ خارجةَ الغافِقيُّ-رحمه الله-:" ثَلاثةٌ مِن أعلامِ الإحسانِ: كَظمُ الغَيظِ، وحِفظُ الغَيبِ، وسَترُ العَيبِ، وثَلاثةٌ مِن أعلامِ المَعرِفةِ: الإقبالُ علىٰ اللهِ، والانقِطاعُ إلىٰ اللهِ، والافتِخارُ باللهِ، وثَلاثةٌ مِن أعلامِ الفِكرةِ: سُرعةُ الادِّكارِ، وإدمانُ الاعتِبارِ، وكَثرةُ الاستِغفارِ". (ترتيب المدارك للقاضي عياض:٣/ ٣٢٠).

٩- وقال ابنُ عَبدِ البَرِّ-رحمه الله-:" مَن كَظمَ غَيظَه ورَدَّ غَضَبَه، أخزىٰ شَيطانَه، وسَلِمَت مُروءتُه ودينُه (التمهيد لابن عبد البر:٧/ ٢٥٠).

١٠- قال الرَّاغِبُ-رحمه الله-:" الكَظمُ يدفَعُ مَحذورَ النَّدَمِ، كالماءِ يُطفِئُ حَرَّ الضَّرَمِ، كَظمٌ يتَرَدَّدُ في حَلقي أحَبُّ إليَّ مِن نقصٍ أجِدُه في خُلقي ". (محاضرات الأدباء: ١/ ٢٧٧).



- وقال الرَّاغِبُ أيضًا:" أجَلُّ النَّاسِ شُجاعةً وأفضَلُهم مُجاهَدةً وأعظَمُهم قوَّةً مَن يكظِمُ الغيظَ، وعلىٰ ذلك دَلَّ قَولُه تعالىٰ: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٤)، فجَعَلَهم مِن المُحسِنينَ ". (الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة ص: ٢٤٣).

١١- وقال أحمَدُ بنُ أبي سُليمانَ الصَّوَّافُ-رحمه الله-:" يا طالِبَ العِلمِ، إذا طلَبْتَ العِلمَ فاتَّخِذْ له قَبلَ طَلَبِه أدَبًا تستعينُ به علىٰ طَلَبِه، واتَّخِذْ له بعدَ طَلَبِه أدَبًا تستعينُ به علىٰ حَملِه. ومن أدَبِ العِلمِ: الحِلمُ، والحِلمُ كَظمُ الغَيظِ، وأن يَغلِبَ عِلمُك وحِلمُك هواك إذا دعاك إلىٰ ما يَشينُك. وعليك بالوَقارِ والتَّعفُّفِ، والرَّزانةِ والصِّيانةِ، والصَّمتِ والسَّمتِ الحَسَنِ، والتَّودُّدِ إلىٰ النَّاسِ، ومجانَبةِ مَن لا خيرَ فيه، والجُلوسِ مع الفُقَهاءِ، ومحبَّةِ الأخيارِ، ومُنابَذةِ الأشرارِ، والقَولِ الحَسَنِ في إخوانِك، والكَفِّ عمَّن ظَلَمك، ولا تهمِزْ أحَدًا بقولٍ ولا تَلمِزْه، ولا تَقُلْ فيه ولو كان عدُوَّك ". (ترتيب المدارك للقاضي عياض:٤/ ٣٦٩).

١٢- وقال بَعضُ الحُكَماءِ لابنِه:" يا بُنَيَّ! احتَفِظْ مِن النَّزَقِ[1] عندَ سَورةِ الغَضَبِ؛ فإنَّك متىٰ افتتَحتَ بُدُوَّ غَضَبِك بكَظمٍ خَتَمتَ عاقِبتَه بحِلمٍ، ومتىٰ افتتَحتَه بالقَلَقِ والضَّجَرِ خَتمتَه بالسَّفَهِ، وإذا حاجَجتَ فلا تغضَبْ؛ فإنَّ الغَضَبَ يقطَعُ الحُجَّةَ، ويُظهِرُ عليك الخَصمَ ". (المجالسة وجواهر العلم للدينوري:٤/ ٤٧٧).

١٣- وقال الرَّافِعيُّ-رحمه الله-:" اعلَمْ أنَّ أرفَعَ مَنازِلِ الصَّداقةِ منزِلتانِ: الصَّبرُ علىٰ الصَّديقِ حينَ يغلِبُه طَبعُه فيُسيءُ إليك، ثُمَّ صَبرُك علىٰ هذا الصَّبرِ حينَ تُغالِبُ طَبعَك لكَي لا تُسيءَ إليه! ". (السحاب الأحمر ص: ٨٢).

[1]- النَّزَقُ: الخِفَّةُ والطَّيشُ. (الصحاح للجوهري:٤/ ١٥٥٨).



ومن فضل وفوائِدُ كَظمِ الغَيظِ كذلك:

١- نيَلُ مَغفِرةِ اللهِ وجَنَّتِه: قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ(١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ (آل عمران: ١٣٤،١٣٣).

٢- عِظمُ الأجرِ به وتَوفيرُه: فقد مر بنا الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد وابن ماجه عن ابنِ عُمَرَ قال: قال رَسولُ اللهِ ﷺ:" ما مِن جُرعةٍ أعظَمَ أجرًا عندَ اللهِ مِن جُرعةِ غَيظٍ كَظمَها عَبدٌ ابتِغاءَ وَجهِ اللهِ ". (صحيح سنن ابن ماجه: ٤١٨٩)

٣- خُضوعُ العَدوِّ وتَعظيمُه للذي يكظِمُ غَيظَه: قال ابنُ عَبَّاسٍ-رَضيَ اللهُ عنهما- في قَولِه تعالىٰ: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (المؤمنون: ٩٦)، قال: الصَّبرُ عندَ الغَضَبِ، والعَفوُ عندَ الإساءةِ، فإذا فعَلوا عَظَّمهم عَدوُّهم، وخَضَعَ لهم ".

٤- دَلالةُ قَهرِ الغَضَبِ به علىٰ الشِّدَّةِ النَّافِعةِ: ففي الصَّحيحِين عن أبي هُرَيرةَ ﷺ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال:

" ليس الشَّديدُ بالصُّرَعةِ، إنَّما الشَّديدُ الذي يملِكُ نفسَه عندَ الغَضَبِ ".

٥- التَّغَلُّبُ علىٰ الشَّيطانِ: فقد اخرج البزار والطبراني عن أنَسٍ ﷺ أنَّ النَّبيَّ ﷺ مَرَّ بقَومٍ يصطَرِعونَ، فقال:" ما هذا؟ فقالوا: يا رَسولَ اللهِ، فُلانٌ الصَّريعُ، لا ينتَدِبُ له أحَدٌ إلَّا صَرَعَه! فقال رَسولُ اللهِ ﷺ: ألا أدُلُّكم علىٰ مَن هو أشَدُّ منه؟ رَجُلٌ ظَلَمَه رَجُلٌ، فكَظَمَ غَيظَه فغَلَبَه، وغَلَبَ شَيطانَه، وغَلَبَ شَيطانَ صاحِبِه ". (السلسلة الصحيحة: ٣٢٩٥).

٦- يُعينُ علىٰ تركِ الغَضَبِ: قال ابنُ حَجَرٍ-رحمه الله-:" استِحضارُ ما جاءَ في كَظمِ الغَيظِ مِن الفَضلِ يُعينُ علىٰ تَركِ الغَضَبِ ". (فتح الباري لابن حجر:١٠/ ٥٢١).



٧- سَبَبٌ في دَفعِ الإساءةِ بالإحسانِ، والمَكروهِ بالمَعروفِ، والقَهرِ باللُّطفِ: قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ(٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (فصلت: ٣٥،٣٤).

٨- يَعصِمُ المَرءَ مِن التَّصَرُّفاتِ التي لا تنبغي، ويقيه مِن النَّدَمِ.

٩- يُعينُ علىٰ مُجاهَدةِ النَّفسِ ويُدَرِّبُها علىٰ الصَّبرِ والحِلمِ ومَكارِمِ الأخلاقِ.

١٠- مِن أسبابِ شُيوعِ المَحَبَّةِ والإخاءِ والأُلفةِ بَينَ النَّاسِ.



٣ـ فضل المحبة[١][٢]:

أولًا: فضل المحبة من القرآنِ الكريمِ:

١- قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ (مريم: ٩٦).

قولُه: ﴿وُدًّا﴾ هي المَحَبَّةُ والقَبولُ الذي يجعَلُه اللهُ في القلوبِ لمن شاء من عبادِه. يجعَلُه لهم من دونِ أن يطلُبوه بالأسبابِ التي توجِبُ ذلك كما يَقذِفُ في قلوبِ أعدائِهم الرُّعبَ. (التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي:١/ ٤٨٦). (فتح القدير للشوكاني:٣/ ٤١٧).

٢- وقال جلَّ في علاه: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي ﴾ (طه: ٣٩).

قال أبو جعفرٍ الطَّبريُّ-رحمه الله-:" والذي هو أَولىٰ بالصَّوابِ من القَولِ في ذلك أن يقالَ: إنَّ اللهَ ألقىٰ محبَّتَه علىٰ موسىٰ، كما قال جَلَّ ثناؤه: وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي فحبَّبه إلىٰ آسيةَ امرأةِ فِرعَونَ، حتىٰ تبنَّتْه وغذَتْه وربَّتْه، وإلىٰ فِرعَونَ، حتىٰ كفَّ عنه عاديَتَه وشَرَّه. وقد قيل: إنَّما قيل: وألقيتُ عليك مَحَبَّةً منِّي؛ لأنَّه حَبَّبه إلىٰ كُلِّ مَن رآه ". (جامع البيان:١٦/ ٥٨).

وقال الشَّوكانيُّ-رحمه الله-:" وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي أي: ألقىٰ اللهُ علىٰ موسىٰ مَحَبَّةً كائنةً منه تعالىٰ في قلوبِ عبادِه لا يراه أحدٌ إلَّا أحَبَّه، وقيل: جَعَل عليه مَسحةً من جمالٍ لا يراه أحَدٌ من النَّاسِ إلَّا أحبَّه...، وقيل: كَلِمةُ مِنِّي متعلِّقةٌ بألقيتُ، فيكونُ المعنىٰ: ألقيتُ مني عليك مَحَبَّةً، أي: أحبَبْتُك، ومَن أحبَّه اللهُ أحبَّه النَّاسُ ". (فتح القدير:٣/ ٤٣١).

٣- وقال تعالىٰ في بيانِ صِفةِ المحبِّين له سُبحانَه وأنَّ من لوازِمها مَحَبَّةَ المُؤمِنين والرَّأفةَ بهم: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَىٰ الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة: ٥٤).

قال ابنُ رجَبٍ-رحمه الله-:" فوصف اللهُ سُبحانَه المحبِّين له بأوصافٍ: أحدُها: الذِّلَّةُ علىٰ المُؤمِنين، والمرادُ لِينُ الجانِبِ وخَفضُ الجَناحِ والرَّأفةُ والرَّحمةُ للمُؤمِنين، وهذا يرجِعُ إلىٰ أنَّ

---

[١]- موسوعة الأخلاق والسلوك- الدرر السنية.

[٢]- توجد رسالة خاصة عن" فضل المحبة في الله" للمؤلف ضمن هذه السلسلة، والله الموفق.



المحبِّين للهِ يحبُّون أحبَّاءَه ويعودون عليهم بالعَطفِ والرَّأفةِ والرَّحمةِ ". (روائع التفسير:١/ ٤٣٥).

وقال السَّعديُّ-رحمه الله-:" فهم للمُؤمنين أذِلَّةٌ؛ من محبَّتِهم لهم، ونُصحِهم لهم، ولِينِهم ورِفقِهم ورأفتِهم، ورحمتِهم بهم وسُهولةِ جانِبِهم، وقُربِ الشَّيءِ الذي يُطلَبُ منهم ". (تيسير الكريم الرحمن ص: ٢٣٥).

٤- وقال تعالىٰ في ذِكرِ مَحَبَّةِ الأنصارِ للمُهاجِرين وما نتَجَ عنها من التَّضحيةِ والإيثارِ: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (الحشر:٩).يعني: أنَّ اللهَ تعالىٰ ألقىٰ إليهم مَحَبَّةً؛ حتىٰ أنزلوا المهاجِرين ديارَهم، وأنفقوا عليهم أموالَهم. (تأويلات أهل السنة:٩/ ٥٩٠).

وقال ابنُ كثيرٍ-رحمه الله-:" أي: من كَرَمِهم وشَرَفِ أنفُسِهم، يحبُّون المهاجِرين ويواسونهم بأموالِهم ".. وهذا لمحبَّتِهم للهِ ولرسولِه، أحبُّوا أحبابَه، وأحبُّوا من نَصَر دينَه. (تفسير القرآن العظيم:٨/ ٦٩) (تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص: ٨٥١).

٥- وقال تعالىٰ ذاكِرًا صُوَرًا من المَحبَّةِ المباحةِ، كمَحَبَّةِ الزَّوجةِ والأولادِ ما كانت باستقامةٍ واعتدالٍ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾ (آل عمران:١٤)

قال الخازِنُ-رحمه الله-:" جَعَل اللهُ تعالىٰ في قلبِ الإنسانِ حُبَّ الزَّوجةِ والوَلَدِ لحِكمةٍ بالغةٍ، وهي بقاءُ التَّوالُدِ، ولو زالت تلك المَحَبَّةُ لما حصَل ذلك ". (لباب التأويل:١/ ٣٢٦).



ثانيًا: فضل المحبة من السُّنَّةِ النَّبويَّةِ:

١- أخرج البخاري ومسلم من حديث ابنِ مسعودٍ ﷺ قال: جاء رجلٌ إلىٰ رسولِ اللهِ ﷺ، فقال: يا رسولَ اللهِ، كيف تقولُ في رجُلٍ أحَبَّ قومًا، ولم يَلحَقْ بهم؟ فقال رسولُ اللهِ ﷺ: المرءُ مع من أحبَّ ".

يعني: من أحَبَّ قومًا بالإخلاصِ يكونُ مِن زُمرتِهم، وإن لم يعمَلْ عَمَلَهم؛ لثبوتِ التَّقارُبِ بَيْنَ قلوبِهم، وربَّما تؤدِّي تلك المَحَبَّةُ إلىٰ موافقتِهم، وفيه حثٌّ علىٰ مَحَبَّةِ الصُّلَحاءِ والأخيارِ؛ رجاءَ اللَّحاقِ بهم والخَلاصِ من النَّارِ. (عون المعبود:١٤/ ٢٥).

قال ابنُ بطَّالٍ-رحمه الله-:" فدَلَّ هذا أنَّ من أحَبَّ عبدًا في اللهِ فإنَّ اللهَ جامِعٌ بَينَه وبينَه في جنَّتِه، ومُدخِلُه مُدخَلَه، وإنْ قَصَّر عن عَمَلِه، وهذا معنىٰ قولِه: "ولم يَلحَقْ بهم". يعني في العمَلِ والمنزلةِ، وبيانُ هذا المعنىٰ -واللهُ أعلَمُ- أنَّه لمَّا كان المحِبُّ للصَّالحين وإنَّما أحبَّهم من أجلِ طاعتِهم للهِ، وكانت المَحَبَّةُ عمَلًا من أعمالِ القُلوبِ واعتقادًا لها، أثاب اللهُ مُعتَقِدَ ذلك ثوابَ الصَّالحين؛ إذ النِّيَّةُ هي الأصلُ، والعَمَلُ تابعٌ لها، واللهُ يؤتي فَضْلَه من يشاءُ". (شرح صحيح البخاري:٩/ ٣٣٣).

وقال النَّوويُّ-رحمه الله-:" فيه فضلُ حُبِّ اللهِ ورَسولِه ﷺ، والصَّالحين وأهلِ الخيرِ الأحياءِ والأمواتِ". (شرح النووي علىٰ صحيح مسلم:١٦/ ١٨٦).

وقال السَّعديُّ-رحمه الله-:" هذا الحديثُ فيه: الحثُّ علىٰ قوَّةِ مَحَبَّةِ الرُّسُلِ وأتباعِهم بحَسَبِ مراتِبِهم، والتَّحذيرُ من مَحَبَّةِ ضِدِّهم؛ فإنَّ المَحَبَّةَ دليلٌ علىٰ قوَّةِ اتصالِ المحِبِّ بمن يحِبُّه، ومناسبتِه لأخلاقِه، واقتدائِه به؛ فهي دليلٌ علىٰ وجودِ ذلك، وهي أيضًا باعثةٌ علىٰ ذلك". (بهجة قلوب الأبرار ص: ١٩٣).

٢- وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هُرَيرةَ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إنَّ رَجُلًا زار أخًا له في قريةٍ أخرىٰ، فأرصَدَ[1] اللهُ له علىٰ مَدْرَجَتِه[2] مَلَكًا، فلمَّا أتىٰ عليه قال: أين تريدُ؟ قال: أريدُ

[1]- أرصد: أقام رصَدًا: أي: منتَظِرًا له. (كشف المشكل من حديثِ الصحيحين لابن الجوزي:٣/ ٥٧٧).



أخًا لي في هذه القريةِ، قال: هل لك عليه من نِعمةٍ تَرُبُّها[1]؟ قال: لا، غيرَ أنِّي أحبَبْتُه في اللهِ عزَّ وجَلَّ، قال: فإنِّي رَسولُ اللهِ إليك بأنَّ اللهَ قد أحَبَّك كما أحبَبْتَه فيه ".

قال النَّوويُّ-رحمه الله-:" في هذا الحديثِ فَضلُ المَحبَّةِ في اللهِ تعالىٰ، وأنَّها سببٌ لحُبِّ اللهِ تعالىٰ العَبدَ" (شرح النووي علىٰ صحيح مسلم:١٦/ ١٢٤).

وفيه أيضًا: دليلٌ علىٰ عِظَمِ فَضلِ الحُبِّ في اللهِ، والتَّزاوُرِ فيه. (تطريز رياض الصالحين لفيصل المبارك ص: ٢٤٧).

٣- وأخرج أبو داود والنسائي وأحمد من حديث مُعاذِ بنِ جَبلٍ ﵁ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ أخَذ بيَدِه، وقال:" يا معاذُ، واللهِ إنِّي لأحِبُّك، واللهِ إنِّي لأحِبُّك، فقال: أوصيك يا مُعاذُ، لا تَدَعَنَّ في دُبُرِ كُلِّ صلاةٍ تقولُ: اللَّهُمَّ أعِنِّي علىٰ ذِكْرِك، وشُكْرِك، وحُسنِ عِبادتِك ". (صححه ابن حجر في نتائج الأفكار:٢/ ٢٩٧).

وقولُه ﷺ:" واللهِ إنِّي لأحِبُّك": فيه أنَّ من أحَبَّ أحدًا يستحَبُّ له إظهارُ المَحبَّةِ له. فقال:" أوصيك يا مُعاذُ، لا تدَعَنَّ إذا أردْتَ ثباتَ هذه المَحبَّةِ فلا تترُكَنَّ في دُبُرِ كُلِّ صلاةٍ، أي: عَقِبَها وخَلْفَها أو في آخِرِها (عون المعبود:٤/ ٢٦٩).

وقال ابنُ عُثَيمين-رحمه الله-:" وهذه مَنقَبةٌ عظيمةٌ لمعاذِ بنِ جَبَلٍ ﵁؛ أنَّ نبيَّنا ﷺ أقسَم أنَّه يحِبُّه، والمحِبُّ لا يدَّخِرُ لحبيبِه إلَّا ما هو خيرٌ له ". (شرح رياض الصالحين:٥/ ٥٠٢).

٤- وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هُرَيرةَ ﵁ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ:" لا تدخُلون الجنَّةَ حتَّىٰ تؤمِنوا، ولا تُؤمِنوا حتَّىٰ تحابُّوا، أوَلا أدُلُّكم علىٰ شيءٍ إذا فعَلْتُموه تحابَبْتُم؟ أفشُوا السَّلامَ بينكم ".

---

[2]- المَدْرَجةُ: هي الطَّريقُ، سُمِّيت بذلك؛ لأنَّ الناسَ يَدرُجون عليها، أي: يَمضون ويَمشون. (شرح النووي علىٰ مسلم:١٦/ ١٢٤).

[1]- تَرُبُّها، أي: تقومُ بإصلاحِها وتَنهَضُ إليه بسَبَبِ ذلك. (شرح النووي علىٰ مسلم:١٦/ ١٢٤).



- قال النَّوويُّ -رحمه الله-:" فقولُه ﷺ:" ولا تؤمِنوا حتَّىٰ تحابُّوا". معناه: لا يَكمُلُ إيمانُكم ولا يَصلُحُ حالُكم في الإيمانِ إلَّا بالتَّحابِّ ". (شرح النووي علىٰ صحيح مسلم:٢/ ٣٦).

- وقال ابنُ عُثَيمين -رحمه الله-:" ففي هذا دليلٌ علىٰ أنَّ المَحَبَّةَ من كمالِ الإيمانِ، وأنَّه لا يَكمُلُ إيمانُ العبدِ حتَّىٰ يحِبَّ أخاه، وأنَّ من أسبابِ المَحَبَّةِ أن يفشِيَ الإنسانُ السَّلامَ بَيْنَ إخوانِه، أي: يُظهِرَه ويُعلِنَه، ويُسَلِّمَ علىٰ من لَقِيَه من المُؤمِنين، سواءٌ عَرَفه أو لم يَعرِفْه؛ فإنَّ هذا من أسبابِ المَحَبَّةِ؛ ولذلك إذا مرَّ بك رجلٌ وسَلَّم عليك أحبَبْتَه، وإذا أعرَضَ كرِهْتَه ولو كان أقرَبَ النَّاسِ إليك ". (شرح رياض الصالحين:٣/ ٢٦٥).

٥- وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هُرَيرةَ ﷺ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ:" سبعةٌ يُظِلُّهم اللهُ في ظِلِّه يومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّه... وذكر منهم.. ورجلانِ تحابَّا في اللهِ، اجتمعا عليه وتفرَّقا عليه ".

قال ابنُ الملقِّنِ -رحمه الله-:" قولُه ﷺ:" ورجلانِ تحابَّا في اللهِ، اجتمعا عليه وتفرَّقا عليه": أي اجتَمَعا علىٰ حُبِّ اللهِ وتفرَّقا علىٰ حبِّه، وكان سَبَبُ اجتماعِهما حبَّ اللهِ، واستمرارَهما علىٰ ذلك حتَّىٰ تفرَّقا من مجلِسِهما وهما صادقانِ في حُبِّ كُلِّ واحدٍ منهما صاحِبَه في اللهِ حالَ اجتماعِهما وافتراقِهما، وفيه: الحثُّ علىٰ مِثلِ ذلك، وبيانُ عظيمِ فَضلِه، وهو من المُهِمَّاتِ؛ فإنَّ الحُبَّ في اللهِ والبُغضَ في اللهِ من الإيمانِ ". (التوضيح لابن الملقن:٦/ ٤٤٩).

وقال الصَّنعانيُّ -رحمه الله-:" ورجلانِ تحابَّا في اللهِ، اجتمعا عليه وتفرَّقا عليه، أي: جمع بَيْنَهما الحُبُّ في اللهِ، وافترَقا بالموتِ عليه، لم يُفَرِّقْ بَيْنَهما عارِضٌ دُنيويٌّ، أو المرادُ: يحفظانِ الحُبَّ في اللهِ في الحُضورِ والغَيبةِ، وعُدَّت هذه خَصلةً واحدةً مع أنَّها ثنتانِ؛ لأنَّ المَحَبَّةَ لا تكونُ إلَّا بَيْنَ اثنينِ ". (التنوير:٦/ ٣٦٩).

ثالثًا: فضل المحبة من أقوالِ السَّلَفِ والعُلَماءِ وغَيرِهم:

١- كتبَ عليٌّ ﷺ عهدًا لمالِكٍ الأشتَرِ النَّخعيِّ حينَ ولَّاه مصرَ، ومما قال فيه:"... وأشعِرْ قَلْبَك الرَّحمةَ بالرَّعيَّةِ، والمَحَبَّةَ لهم، واللُّطفَ بهم ". (التذكرة الحمدونية:١/ ٣١٥).



٢- وقال وَهبُ بنُ مُنبِّهٍ-رحمه الله-:" من عُرِف بالفُجورِ والخديعةِ لم يُوثَقْ إليه في المَحَبَّةِ ". (حلية الأولياء وطبقات الأصفياء:٤/ ٦٣).

٣- وقال الفُضَيلُ بنُ عِياضٍ-رحمه الله-:" إنَّ اللهَ تعالىٰ يَقسِمُ المَحَبَّةَ كما يَقسِمُ الرِّزقَ، وكُلُّ ذا من اللهِ تعالىٰ ". (المصدر السابق:٨/ ٩٩).

٤- وقال أبو بكرٍ الورَّاقُ-رحمه الله-:" سأل المأمونُ عبدَ اللهِ بنَ طاهرٍ ذا الرِّياستَينِ عن الحُبِّ، ما هو؟ فقال: يا أميرَ المُؤمِنين، إذا تقادَحَت جواهِرُ النُّفوسِ المتقاطِعةِ بوَصلِ المُشاكَلةِ، انبعَثَت منها لمحةُ نورٍ تَستضيءُ بها بواطِنُ الأعضاءِ، فتتحَرَّكُ لإشراقِها طبائِعُ الحياةِ، فيتصَوَّرُ من ذلك خلقٌ حاضرٌ للنَّفسِ، متَّصِلٌ بخواطِرِها، يُسَمَّىٰ الحُبَّ ". (العقد الفريد لابن عبد ربه:٢/ ١٦٧).

٥- وقال يحيىٰ بنُ مُعاذٍ-رحمه الله-:" علىٰ قَدْرِ حُبِّك للهِ يُحِبُّك الخَلقُ ". (صفة الصفوة لابن الجوزي:٢/ ٢٩٥).

٦- وقال هَرَمُ بنُ سِنانٍ-رحمه الله-:" ما أقبَلَ عبدٌ بقلبِه إلىٰ اللهِ عزَّ وجَلَّ إلَّا أقبَلَ اللهُ بقلوبِ أهلِ الإيمانِ إليه، حتَّىٰ يرزُقَه مودَّتَهم ورحمَتَهم ". (الزهد الكبير للبيهقي ص: ٢٩٩).

٧- وقال الثَّعالبيُّ-رحمه الله-:" المَحَبَّةُ ثمنٌ لكُلِّ شيءٍ وإن غلا، وسُلَّمٌ إلىٰ كُلِّ شيءٍ وإن علا ". (سحر البلاغة ص: ١٣٠).

٨- وقال يحيىٰ بنُ معاذٍ-رحمه الله-:" حقيقةُ المَحَبَّةِ لا يزيدُها البرُّ ولا يَنقُصُها الجَفاءُ ". (محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني:٢/ ٤١١).

٩- وقال الجُنَيدُ-رحمه الله-:" إذا صَحَّت المَحَبَّةُ سَقَطت شُروطُ الأدَبِ ". (لباب الآداب لأسامة بن منقذ ص: ٢٣١).

١٠- وقال الرَّاغِبُ-رحمه الله-:" لو تحابَّ النَّاسُ وتعامَلوا بالمَحَبَّةِ لاستغنَوا بها عن العَدْلِ؛ فقد قيل: العَدلُ خَليفةُ المَحَبَّةِ، يُستعمَلُ حيثُ لا توجَدُ المَحَبَّةُ ". (الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة ص: ٢٥٧).



- وقال أيضًا:" كُلُّ قومٍ إذا تحابُّوا تواصَلوا، وإذا تواصَلوا تعاوَنوا، وإذا تعاوَنوا عَمِلوا، وإذا عَمِلوا عَمَروا، وإذا عَمَروا عُمِّروا وبوركَ لهم ". (المصدر السابق).

١١- وقال ابنُ تَيميَّةَ-رحمه الله-:" إنَّك إذا أحبَبتَ الشَّخصَ للهِ كان اللهُ هو المحبوبَ لذاتِه، فكلَّما تصوَّرْتَه في قلبِك تصوَّرْتَ محبوبَ الحقِّ فأحبَبْتَه؛ فازداد حبُّك للهِ، كما إذا ذكَرْتَ النَّبيَّ ﷺ والأنبياءَ قبلَه والمُرسَلين وأصحابَهم الصَّالحين، وتصوَّرْتَهم في قلبِك، فإنَّ ذلك يجذبُ قلبَك إلىٰ مَحَبَّةِ اللهِ، المنعَمِ عليهم وبهم، إذا كُنتَ تحِبُّهم للهِ. فالمحبوبُ للهِ يجذِبُ إلىٰ مَحَبَّةِ اللهِ، والمحِبُّ للهِ إذا أحبَّ شخصًا للهِ فإنَّ اللهَ هو محبوبُه، فهو يحِبُّ أن يجذِبَه إلىٰ اللهِ تعالىٰ، وكُلٌّ من المحبِّ للهِ والمحبوبِ للهِ يَجذِبُ إلىٰ اللهِ ". (مجموع الفتاوىٰ:١٠/ ٦٠٨).

١٢- وقال ابنُ القيِّمِ-رحمه الله-:" كلُّ مَحَبَّةٍ فهي مصحوبةٌ بالخوفِ والرَّجاءِ، وعلىٰ قَدْرِ تمكُّنِها من قَلبِ المحِبِّ يشتَدُّ خوفُه ورجاؤه ". (مدارج السالكين ٢/ ٤٣).

- وقال ابنُ القَيِّمِ أيضًا-رحمه الله-:" إذا سافَرَ المحِبُّ للقاءِ محبوبِه رَكِبَت جنودُه معه، فكان الحُبُّ في مقدِّمةِ العَسكَرِ، والرَّجاءُ يحدو بالمَطِيِّ، والشَّوقُ يَسوقُها، والخَوفُ يجمَعُها علىٰ الطَّريقِ، فإذا شارَف قدومَ بلَدِ الوَصلِ خرَجَتْ تُقادِمُ الحبيبَ باللِّقاءِ ". (الفوائد ص: ٧٧).

من فضل وفوائدُ المَحَبَّةِ كذلك:

١ - دلالةٌ علىٰ كمالِ الإيمانِ وحُسنِ الإسلامِ.

٢ - المَحَبَّةُ تُغَذِّي الأرواحَ والقلوبَ وبها تَقَرُّ العُيونُ، بل إنَّها هي الحياةُ التي يُعَدُّ من حُرِم منها من جملةِ الأمواتِ.

٣- تظهَرُ آثارُ المَحَبَّةِ عِندَ الشَّدائِدِ والكُرُباتِ.

٤ - من ثمارِ المَحَبَّةِ النَّعيمُ والسُّرورُ في الدُّنيا، الموصِلُ إلىٰ نعيمِ وسرورِ الآخرةِ.

٥ - مَحَبَّةُ الإخوانِ في اللهِ من مَحَبَّةِ اللهِ ورَسولِه.

٦ - التَّحابُّ في اللهِ يجعَلُ المتحابِّين في اللهِ من الذين يستظِلُّون بظِلِّ اللهِ تعالىٰ يومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّه.

٧- لا يكتَمِلُ إيمانُ المرءِ إلَّا إذا تحقَّق حبُّه لأخيه ما يحِبُّه لنفسِه، وفي هذا ما يخلِّصُه من داءِ الأنانيَّةِ.

٨- أن يستشعِرَ المرءُ حلاوةَ الإيمانِ، فيذوقَ طَعمَ الرِّضا وينعَمَ بالرَّاحةِ النَّفسيَّةِ. (نضرة النعيم:٨/ ٣٣٥٦).

٩- شُيوعُ المَحَبَّةِ بَيْنَ أفرادِ المجتَمَعِ تؤدِّي إلىٰ تماسُكِه وترابُطِه.

١٠- المَحَبَّةُ تفتَحُ البابَ للتَّعاوُنِ علىٰ البِرِّ والتَّقوىٰ.

١١- المَحَبَّةُ تخلِّصُ النَّفسَ من أمراضِها كالحَسَدِ والحِقدِ.

١٢- المَحَبَّةُ طريقٌ إلىٰ راحةِ البالِ وطُمأنينةِ النَّفسِ.



٤- فضل المواساة[1]:

أولًا: فضل المواساة من القرآنِ الكريمِ:

١- قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (الحج: ٧٧) وهذه الآيةُ الكريمةُ عامَّةٌ في أنواعِ الخيراتِ، ومن أعظَمِها الرَّأفةُ والشَّفَقةُ علىٰ خَلقِ اللهِ، ومواساةُ الفُقَراءِ وأهلِ الحاجةِ. (الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي:٤/ ١٣٨).

٢- وقال تعالىٰ في الحثِّ علىٰ التَّعاوُنِ علىٰ ما فيه البِرُّ والتَّقوىٰ، والمُواساةُ داخِلةٌ في ذلك: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (المائدة: ٢).

قال ابنُ خُوَيز مَنْدادَ-رحمه الله-:" التَّعاوُنُ علىٰ البرِّ والتَّقوىٰ يكونُ بوجوهٍ، فواجِبٌ علىٰ العالمِ أن يعينَ النَّاسَ بعِلمِه فيُعَلِّمَهم، ويُعينَهم الغنيُّ بمالِه، والشُّجاعُ بشَجاعتِه في سبيلِ اللهِ، وأن يكونَ المُسلِمون متظاهِرين كاليَدِ الواحِدةِ ". (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي:٦/ ٤٧).

٣- وقال تعالىٰ في الحَثِّ علىٰ القيامِ بحُقوقِ الخَلقِ وما فيها من مواساةٍ لهم: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ﴾ (الإسراء: ٢٦).

فهذا أمرُ اللهِ للعبدِ المُؤمِنِ بإيتاءِ قرابتِه حقوقَهم من البِرِّ والصِّلةِ، وكذا المساكينُ، وهم الفُقَراءُ الذين مسكَنَتْهم الفاقةُ وأذَلَّهم الفقرُ، فهؤلاء أمَرَ تعالىٰ المُؤمِنَ بإعطائِهم حَقَّهم من الإحسانِ إليهم، بالكِساءِ أو الغِذاءِ والكَلِمةِ الطَّيِّبةِ، وكذا ابنُ السَّبيلِ، وهو المسافِرُ يُعطىٰ حقَّه من الضِّيافةِ والمساعدةِ علىٰ سَفَرِه إن احتاجَ إلىٰ ذلك مع تأمينِه وإرشادِه إلىٰ طريقِه ". (أيسر التفاسير لأبي بكر الجزائري:٣/ ١٨٨).

---

[1]- موسوعة الأخلاق والسلوك- الدرر السنية.



٤- وقال تعالىٰ مادِحًا مواساةَ الفُقَراءِ والمساكينِ بإطعامِهم: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا(٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ (الإنسان:٩،٨).

قال الرَّازيُّ-رحمه الله-:" قالوا: إطعامُ الطَّعامِ كنايةٌ عن الإحسانِ إلىٰ المحتاجين والمُواساةِ معهم بأيِّ وجهٍ كان وإن لم يكُنْ ذلك بالطَّعامِ بعَينِه، ووَجهُ ذلك: أنَّ أشرَفَ أنواعِ الإحسانِ هو الإحسانُ بالطَّعامِ، وذلك لأنَّ قِوامَ الأبدانِ بالطَّعامِ ولا حياةَ إلَّا به ". (مفاتيح الغيب:٣٠/ ٢١٥).

٥- وقال تعالىٰ مواسيًا رسولَه ﷺ وأصحابَه يومَ أحُدٍ، وهي مواساةٌ للفَردِ والمجتمَعِ في مِثلِ تلك الحالِ: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ(١٣٩) إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ(١٤٠) وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ(١٤١) أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٩ - ١٤٢)

قال الطَّبَريُّ-رحمه الله-:" هذا من اللهِ تعالىٰ ذِكرُه تعزيةٌ لأصحابِ رَسولِ اللهِ ﷺ علىٰ ما أصابهم من الجِراحِ والقَتلِ بأُحُدٍ ". (جامع البيان:٦/ ٧٦).

ثانيًا: فضل المواساة من السُّنَّةِ النَّبويَّة:

١- أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي موسىٰ ﷺ عن النَّبي ﷺ قال:" إنَّ المُؤمِنَ للمُؤمِنِ كالبُنيانِ يَشُدُّ بعضُه بعضًا، وشَبَّك أصابعَه ".

قال ابنُ بطَّالٍ-رحمه الله-:" تعاوُنُ المُؤمِنين بعضِهم بعضًا في أمورِ الدُّنيا والآخرةِ مندوبٌ إليه بهذا الحديثِ، وذلك من مكارِمِ الأخلاقِ ". (شرح صحيح البخاري:٩/ ٢٢٧).

٢- وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هُرَيرةَ ﷺ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ:" من نفَّس عن مُؤمِنٍ كُربةً[1] من كُرَبِ الدُّنيا نفَّس اللهُ عنه كُربةً من كُرَبِ يومِ القيامةِ، ومن يَسَّر علىٰ مُعسِرٍ يسَّر اللهُ

---

[1]- من نفَّس عن مُؤمِنٍ كُربةً: أي: أزالها عنه وفرَّجها. (إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض:٨/ ١٩٥).



عليه في الدُّنيا والآخرةِ، ومن سَتَر مُسلِمًا ستَره اللهُ في الدُّنيا والآخرةِ، واللهُ في عونِ العبدِ ما كان العبدُ في عونِ أخيه ".

قال ابنُ دقيقِ العيدِ-رحمه الله-:" هذا الحديثُ عظيمٌ جامعٌ لأنواعٍ من العلومِ والقواعدِ والآدابِ، فيه فضلُ قضاءِ حوائجِ المُسلِمين ونفعِهم بما يتيسَّرُ من عِلمٍ أو مالٍ، أو معاونةٍ، أو إشارةٍ بمصلحةٍ، أو نصيحةٍ، أو غيرِ ذلك ". (شرح الأربعين النووية ص: ١١٩).

٣- وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هُرَيرةَ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إذا أتىٰ أحَدَكم خادِمُه بطعامِه، فإنْ لم يُجلِسْه معه، فلْيُناوِلْه لُقمةً أو لُقمَتَينِ أو أُكلةً أو أُكلَتينِ؛ فإنَّه وَلِيَ عِلاجَه[1]".

قال العَينيُّ-رحمه الله-:" فيه الحَثُّ علىٰ مكارمِ الأخلاقِ، وهو المُواساةُ في الطَّعامِ، لا سيَّما في حَقِّ مَن صَنَعه وحمَلَه؛ لأنَّه تحمَّل حَرَّه ودُخانَه، وتعَلَّقَت به نفسُه وشَمَّ رائحتَه ". (عمدة القاري:١٣/ ١١٤).

٤- وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي سعيدٍ الخُدْريِّ ﷺ قال:" بينما نحن في سَفَرٍ مع النَّبيِّ ﷺ إذ جاء رجلٌ علىٰ راحلةٍ له، قال: فجعَل يَصرِفُ بَصَرَه يمينًا وشمالًا، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: من كان معه فَضلُ ظَهرٍ[2] فلْيَعُدْ به علىٰ مَن لا ظَهرَ له، ومن كان له فضلٌ مِن زادٍ فلْيَعُدْ به علىٰ مَن لا زاد له، قال: فذَكَر من أصنافِ المالِ ما ذَكَر حتىٰ رأينا أنَّه لا حَقَّ لأحَدٍ منَّا في فَضلٍ!".

قال النَّوويُّ-رحمه الله-:" فيه مواساةُ ابنِ السَّبيلِ والصَّدَقةُ عليه إذا كان محتاجًا، وإن كان له راحلةٌ وعليه ثيابٌ أو كان موسِرًا في وَطَنِه؛ ولهذا يُعطىٰ من الزَّكاةِ في هذه الحالِ ". (شرح النووي علىٰ مسلم:١٢/ ٣٢).

---

[1]- ولي علاجَه: أي وَلِيَ عَملَه. وقولُه: وَلِيَ، إمَّا من الوِلايةِ، أي: تولَّىٰ ذلك، وإمَّا من الوَلْيِ، وهو القُربِ، أي: قاسَىٰ كُلفةَ اتِّخاذِه. (عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني:١٣/ ١١٤).

[2]- الظَّهْر: مَا يُركَبُ. وفضلُ ظهرٍ، أي: دابَّةٌ زائدةٌ علىٰ قَدْرِ حاجتِها. (كشف المشكل من حديثِ الصحيحين لابن الجوزي:٣/ ١٧٨) (المفاتيح في شرح المصابيح للمظهري:٥/ ٢٤٣).



٥- وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هُريرةَ ﷺ قال: قال رَسولُ الله ﷺ:" إنَّ اللهَ تعالىٰ يَقولُ يَومَ القيامةِ: يا ابنَ آدَمَ، مَرِضْتُ فلَم تَعُدْني. قال: يا رَبِّ، كيفَ أعودُك وأنتَ رَبُّ العالَمينَ؟! قال: أمَا عَلِمتَ أنَّ عَبدي فُلانًا مَرِضَ فلَم تَعُدْه؟ أمَا عَلِمتَ أنَّك لَو عُدْتَه لَوَجدْتَني عِندَه؟ يا ابنَ آدَمَ، استَطعَمْتُك فلَم تُطعِمْني. قال: يا رَبِّ، كيفَ أُطعِمُك وأنتَ رَبُّ العالَمينَ؟! قال: أمَا عَلِمتَ أنَّه استَطعَمَك عَبدي فُلانٌ فلَم تُطعِمْه؟ أمَا عَلِمتَ أنَّك لَو أطعَمْتَه لَوَجَدْتَ ذلك عِندي؟ يا ابنَ آدَم، استَسقيتُك فلَم تَسقِني. قال: يا رَبِّ كيفَ أسقيك وأنتَ رَبُّ العالَمينَ؟! قال: استَسْقاك عَبدي فُلانٌ فلَم تَسقِه، أمَا عَلِمتَ أنَّك لَو سَقيتَه وجَدتَ ذلك عِندي؟".

ثالثًا: فضل المواساة من أقوالِ السَّلَفِ والعُلَماءِ:

١- قال عليٌّ ﷺ:" ابذُلْ لصديقِك كُلَّ المروءةِ، ولا تبذُلْ له كُلَّ الطُّمَأنينةِ، وأعطِه من نفسِك كُلَّ المُواساةِ، ولا تُفْضِ إليه بكُلِّ الأسرارِ ". (الآداب الشرعية لابن مفلح:٣/ ٥٦٧).

- ويُروىٰ أيضًا عن عليٍّ ﷺ أنَّه قال:" خيرُ المُسلِمين مَن وَصَل وأعان ونَفَع ". (سنن الصالحين للباجي ص: ٣٨٢) (قمع الحرص للقرطبي ص: ٩٤).

٢- وقال ابنُ عُمَرَ- رَضِيَ اللهُ عنهما-:" لقد كُنَّا ما أحَدُنا أولىٰ بدينارِه من أخيه المُسلِمِ، ثمَّ ذهَب ذلك فكانت المُواساةُ، ثمَّ ذهَبَت المُواساةُ فكان السَّلَفُ ". (الجامع لمسائل المدونة:٢٤/ ١٣٦) (البيان والتحصيل لابن رشد الجد:١٨/ ٥٥٢).

٣- وقال الحَسَنُ-رحمه الله-:" لقد عَهِدتُ المُسلِمين، وإنَّ الرَّجُلَ منهم ليُصبِحُ فيقولُ: يا أهلِيَهْ يا أهلِيَهْ، يتيمَكم يتيمَكم! يا أهلِيَهْ يا أهلِيَهْ، مِسكينَكم مِسكينَكم! يا أهلِيَهْ يا أهلِيَهْ، جارَكم جارَكم! ". (الأدب المفرد للبخاري:١٣٩).

٤- وقال الأحنَفُ بنُ قَيسٍ-رحمه الله-:" ثلاثُ خِصالٍ تُجتَلَبُ بهنَّ المحبَّةُ: الإنصافُ في المعاشرةِ، والمُواساةُ في الشِّدَّةِ، والانطواءُ علىٰ المودَّةِ". (تاريخ دمشق لابن عساكر:٢٤/ ٣٤١).

٥- وقال إبراهيمُ بنُ أدهَمَ:" المُواساةُ من أخلاقِ المُؤمِنين ". (حلية الأولياء لأبي نعيم:٧/ ٣٧٠).



٦- وقال سَلَمةُ بنُ دينارٍ-رحمه الله-:" لقد رأيتُنا في مجلِسِ زيدِ بنِ أسلَمَ أربعين حَبرًا فقيهًا أدنىٰ خَصلةٍ منا التَّواسي بما في أيدينا، فما رُئِيَ فيها مُتمارِيانِ ولا مُتنازِعانِ في حديثٍ ". (المعرفة والتاريخ ليعقوب بن سفيان:١/ ٦٧٦).

٧- وقال ابنُ قُتَيبةَ-رحمه الله-:" لا حُصِّنَت النِّعَمُ بمِثلِ المُواساةِ ". (عيون الأخبار لابن قتيبة:١/ ٣٨٨).

٨- ورُوِيَ أنَّ رجُلًا من عبدِ القيسِ قال لابنِه:" أي بُنَيَّ، لا تواخِ أحَدًا حتىٰ تعرِفَ مواردَ أمورِه ومصادِرَها، فإذا استبطَنْتَ الخبرَ ورَضِيتَ منه العِشرةَ، فآخِه علىٰ إقالةِ العَثرةِ، والمُواساةِ عِندَ العُسرةِ ". (الموشىٰ ص: ٢٢).

٩- وقال العِزُّ بنُ عبدِ السَّلامِ-رحمه الله-:" المُواساةُ في الشِّدَّةِ والرَّخاءِ وتسويةُ الصَّاحبِ بالنَّفسِ من أفضَلِ أبوابِ المروءاتِ وحُسنِ العِشرةِ وجميلِ الصُّحبةِ؛ إذ لم يؤثِرْ نَفسَه علىٰ صاحِبِه، ولم يُقَدِّمْها عليه، ولا سيَّما في حَقِّ الأقارِبِ والزَّوجاتِ ". (شجرة المعارف والأحوال ص: ١٧٤).

ومن فضل وفوائِدُ المُواساةِ كذلك:

١- أنَّها من أسبابِ مغفرةِ الذُّنوبِ ورفعِ الدَّرَجاتِ.

٢- من أسبابِ محبَّةِ اللهِ ومحبَّةِ الخلقِ.

٣- تقويةُ الرَّوابطِ بَيْنَ المُسلِمين، ودعمُ رُوحِ التَّعاوُنِ والإخاءِ بَيْنَهم.

٤- التَّخفيفُ عن المهمومين والمكروبين، وتسليتُهم والتَّهوينُ عليهم.



٥- إزالةُ الحقدِ والحسَدِ والبغضاءِ من النُّفوسِ.

٦ - أنَّها من عوامِلِ زيادةِ الإيمانِ وتقويتِه.

٧- حصولُ التَّكافُلِ بَيْنَ أفرادِ المجتَمَعِ.

٨- مساعدةُ المحتاجين وقضاءُ حاجاتِهم.

٩- ترتُّبُ الأجرِ في الآخِرةِ.

١٠- جَنيُ ثمراتِ المُواساةِ في الدُّنيا، كدفعِ السُّوءِ، وحُصولِ البركةِ، والثَّناءِ الحَسَنِ، إلىٰ غيرِ ذلك.



٥- فضل النصرة[١]:

أولًا: فضل النصرة من القُرآنِ الكريمِ:

١- قال تعالىٰ: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخرِجنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴾ (النساء: ٧٥).

قال الحافِظُ ابنُ كثيرٍ-رحمه الله- في هذه الآيةِ:" يُحَرِّضُ تعالىٰ عبادَه المُؤمِنين علىٰ الجهادِ في سبيلِه، وعلىٰ السَّعيِ في استنقاذِ المُستضعَفينَ بمكَّةَ من الرِّجالِ والنِّساءِ والصِّبيانِ، المُتبرِّمين بالمُقامِ بها؛ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ﴾ (النساء: ٧٥) يعني: مكَّةَ، كقولِه تعالىٰ: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ﴾ (محمد: ١٣). (تفسير ابن كثير:٢/ ٣٥٨).

٢- وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (الأنفال: ٧٢).

قال الطَّبريُّ-رحمه الله-:" ﴿وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ يقولُ: إنِ استنصَركم هؤلاء الذين آمَنوا ولم يهاجِروا فِي الدِّينِ يعني بأنَّهم من أهلِ دينِكم- علىٰ أعدائِكم وأعدائِهم من المُشرِكين، فعليكم أيُّها المُؤمِنون- من المهاجِرين والأنصارِ- النَّصرُ، إلَّا أن يَستنصِروكم عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ، يعني: عَهدٌ قد وَثَّقَ به بعضُكم علىٰ بعضٍ ألَّا يحارِبَه ". (تفسير الطبري:١١/ ٢٩٤).

---

[١] - موسوعة الأخلاق والسلوك- الدرر السنية.



وقال ابنُ العَرَبيِّ -رحمه الله- في هذه الآية ﴿وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾ يريدُ: إن دَعَوا من أرضِ الحَربِ عَونكم بنفيرٍ أو مالٍ لاستنقاذِهم فأعينوهم، فذلك عليكم فَرضٌ، إلَّا علىٰ قومٍ بينكم وبَيْنَهم عهدٌ، فلا تقاتِلوهم عليهم حتَّىٰ يَتِمَّ العَهدُ، أو يُنبَذَ علىٰ سواءٍ. إلَّا أن يكونوا أُسَراءَ مُستضعَفين؛ فإنَّ الولايةَ معهم قائمةٌ، والنُّصْرةَ لهم واجبةٌ بالبَدَنِ، بألَّا يبقىٰ منَّا عينٌ تَطرِفُ حتَّىٰ نخرُجَ إلىٰ استنقاذِهم إن كان عدَدُنا يحتَمِلُ ذلك، أو نبذُلَ جميعَ أموالِنا في استخراجِهم حتَّىٰ لا يبقىٰ لأحَدٍ دِرهَمٌ، كذلك قال مالِكٌ وجميعُ العُلَماءِ، فإنَّا للهِ وإنَّا إليه راجِعونَ علىٰ ما حَلَّ بالخَلقِ في تَركِهم إخوانَهم في أسْرِ العَدُوِّ، وبأيديهم خزائِنُ الأموالِ، وفضولُ الأحوالِ، والعُدَّةُ والعَدَدُ، والقُوَّةُ والجَلَدُ! ". (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٨/ ٥٧).

ثانيًا: فضل النصرة مِنَ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ:

١- أخرج البخاري من حديث أنَسٍ ﷺ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ:" انصُرْ أخاك ظالِمًا أو مظلومًا، فقال رجُلٌ: يا رسولَ اللهِ، أنصُرُه إذا كان مظلومًا، أفرأيتَ إذا كان ظالمًا كيف أنصُرُه؟ قال: تحجُزُه أو تمنَعُه من الظُّلمِ؛ فإنَّ ذلك نَصرُه ".

- ورواه الإمام مسلم من حديث جابِرُ بنُ عبدِ اللهِ ﷺ بلفظ:" ولْينصُرِ الرَّجُلُ أخاه ظالمًا أو مظلومًا، إن كان ظالِمًا فلْيَنْهَه فإنَّه له نَصرٌ، وإن كان مظلومًا فلْيَنصُرْه ".

قال العَلائيُّ -رحمه الله-:" هذا من بليغِ الكلامِ الذي لم يُنسَجْ علىٰ مِنوالِه، و" أو" للتَّنويعِ والتَّقسيمِ، وسُمِّيَ رَدُّ المظالِمِ نَصرًا؛ لأنَّ النَّصرَ هو العَونُ، ومَنعُ الظَّالمِ عَونٌ له علىٰ مصلحتِه، والظَّالمُ مقهورٌ مع نفسِه الأمَّارةِ، وهي في تلك الحالةِ عاتيةٌ عليه، فرَدُّه عونٌ له علىٰ قَهرِها، ونُصرةٌ له عليها ". (فيض القدير للمناوي:٥/ ٨٠٥).

قال البَيهقيُّ -رحمه الله-:" معنىٰ هذا: أنَّ الظَّالمَ مظلومٌ من جِهَتِه، كما قال اللهُ عزَّ وجَلَّ: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ﴾ (النساء: ١١٠)، فكما ينبغي أن يُنصَرَ المظلومُ -إذا كان غيرَ نَفسِ الظَّالمِ ليَدفَعَ الظُّلمَ عنه- كذلك ينبغي أن يُنصَرَ إذا كان نفسَ الظَّالمِ؛ ليدفَعَ ظُلمَه عن نفسِه ". (شعب الإيمان:١٠/ ٨٤).



وقال ابنُ بطَّالٍ -رحمه الله-:" النَّصرُ عِندَ العَرَبِ الإعانةُ، وتفسيرُه لنصرِ الظَّالمِ بمَنْعِه من الظُّلمِ: من تسميةِ الشَّيءِ بما يَؤولُ إليه، وهو من وجيزِ البلاغةِ ". (فتح الباري لابن حجر:٧/ ٣٥٠).

٢- وأخرج البخاري ومسلم من حديث البَراءِ بنِ عازِبٍ ﵁ قال:" وأَمَرَنا بسَبعٍ: بعيادةِ المريضِ، واتِّباعِ الجنائزِ، وتَشميتِ العاطِسِ، ورَدِّ السَّلامِ، وإجابةِ الدَّاعي، وإبرارِ المُقسِمِ، ونَصرِ المظلومِ ".

- وأخرج البخاري ومسلم من حديث عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ- رَضِيَ اللهُ عنهما- أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال:

" المُسلِمُ أخو المُسلِمِ لا يَظلِمُه ولا يُسلِمُه، ومَن كان في حاجةِ أخيه كان اللهُ في حاجتِه، ومَن فَرَّج عن مُسلِمٍ كُربةً فَرَّج اللهُ عنه كُربةً مِن كُرُباتِ يومِ القيامةِ، ومَن ستَرَ مُسلِمًا ستَرَه اللهُ يومَ القيامةِ ".

قال الحافِظُ ابنُ حَجَرٍ-رحمه الله-:" وقولُه ﷺ:" لا يَظلِمُه" هو خبَرٌ بمعنى الأمرِ؛ فإنَّ ظُلمَ المُسلِمِ للمُسلِمِ حرامٌ، وقولُه:" ولا يُسلِمُه" أي: لا يَترُكُه مع من يؤذيه، ولا فيما يؤذيه، بل ينصُرُه، ويدفَعُ عنه، وهذا أخَصُّ مِن تَركِ الظُّلمِ ". (فتح الباري:٥/ ٩٧).

٣- وأخرج البخاري من حديث ابنِ مسعودٍ ﵁ قال: قال المِقدادُ يومَ بَدرٍ: يا رسولَ اللهِ! إنَّا لا نقولُ لك كما قالت بنو إسرائيلَ لموسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ (المائدة: ٢٤)، ولكِنِ امضِ ونحن معك! فكأنَّه سُرِّيَ عن رسولِ اللهِ ﷺ ".

- وفي روايةٍ عند البخاري أيضًا:" لا نقولُ كما قال قومُ موسى: ﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا﴾ ولكِنَّا نقاتِلُ عن يمينِك وعن شِمالِك وبينَ يَدَيك وخَلْفَك ".

٤- وأخرج ابنُ ماجه وأبو يعلى وابن حبان من حديث جابرٍ ﵁ قال:" لَمَّا رَجَعَتْ إلى رَسولِ الله ﷺ مُهاجِرةُ البَحرِ، قال: ألَا تُحَدِّثوني بأعاجيبِ ما رأيتُم بأرضِ الحَبَشةِ؟ قال فِتيةٌ منهم: بلى يا



رَسولَ اللهِ، بَينا نَحنُ جُلوسٌ مَرَّت بنا عَجوزٌ من عَجائِزِ رَهابينِهم[1] تَحمِلُ علىٰ رَأسِها قُلَّةً من ماءٍ، فمَرَّت بفَتًىٰ منهم فجَعَلَ إحدىٰ يَدَيه بينَ كَتِفَيها ثُمَّ دفَعَها فخرَّت علىٰ رُكبَتَيها فانكَسَرَت قُلَّتُها! فلَمَّا ارتَفَعَتِ التفَتَتْ إليه فقالت: سَوفَ تَعلمُ يا غُدَرُ[2] إذا وَضَعَ اللهُ الكُرسيَّ وجَمعَ الأوَّلينَ والآخِرينَ وتَكَلَّمتِ الأيدي والأرجُلُ بما كانوا يَكسِبونَ، فسَوفَ تَعلَمُ كيفَ أمري وأمرُك عِندَه غدًا؟! قال: يَقولُ رَسولُ اللهِ ﷺ: صَدَقَت صَدَقَت! كيفَ يُقَدِّسُ اللهُ[3] أمَّةً لا يُؤخَذُ لضَعيفِهم من شَديدِهم؟!". (صحيح سنن ابن ماجه:٤٠١٠)

وقال المُناويُّ-رحمه الله-:" وقوله ﷺ:" كيفَ يُقَدِّسُ اللهُ أمَّةً لا يُؤخَذُ لضَعيفِهم من شَديدِهم؟!". استخبارٌ فيه إنكارٌ وتعجُّبٌ، أي: أخبِروني كيف يُطَهِّرُ اللهُ قومًا لا ينصُرون العاجِزَ الضَّعيفَ علىٰ الظَّالمِ القَويِّ، مع تمكُّنِهم من ذلك؟ أي: لا يُطَهِّرُهم اللهُ أبدًا ". (فيض القدير:٥/ ٥٩).

ثالثًا: فضل النصرة من أقوالِ السَّلَفِ والعُلَماءِ:

١- قال محمَّدُ بنُ كَعبٍ القُرَظيُّ لعُمَرَ بنِ عبدِ العزيزِ-رحمة الله عليهما-:" انظُرِ الذي تحِبُّ أن يكونَ معك إذا قَدِمتَ علىٰ رَبِّك فقَدِّمْه بَيْنَ يديك، وانظُرِ الأمرَ الذي تَكرَهُ أن يكونَ معك إذا قَدِمتَ علىٰ ربِّك فابتَغِ به البَدَلَ حيثُ يُوجَدُ البَدَلُ، ولا تَذهَبَنَّ إلىٰ سِلعةٍ قد بارت علىٰ من كان قَبْلَك ترجو أن تجوزَ عنك، فاتَّقِ اللهَ يا أميرَ المُؤمِنين؛ فافتَحِ الأبوابَ، وسَهِّلِ الحِجابَ، وانصُرِ المظلومَ، ورُدَّ الظَّالمَ ". (عيون الأخبار لابن قتيبة:٢/ ٣٧٠) (حلية الأولياء لأبي نعيم:٥/ ٣١٢).

---

[1]- رَهابينِهم أي: عُبَّادُ النَّصارىٰ. (مرشد ذوي الحجا والحاجة للهرري:٢٤/ ١٥٣). والرَّاهِبُ: المتعَبِّدُ في الصَّومعةِ، واحِدُ رُهبانِ النَّصارىٰ، جمعُه الرُّهبانُ، والرُّهبانُ قد يكونُ واحِدًا كما يكونُ جمعًا، ويجمَعُ الرُّهبانُ الواحِدُ علىٰ رهابينَ ورَهابِنةٌ. (تاج العروس للزبيدي:٢/ ٥٤٠).

[2]- غُدَرُ: معدولٌ عن غادرٍ للمبالغة. (النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير:٣/ ٣٤٥).

[3]- يُقَدِّسُ اللهُ: قال السِّنديُّ: أي: يُطَهِّرُهم من الدَّنَسِ والآثامِ. (حاشية السندي علىٰ سنن ابن ماجه:٢/ ٤٨٦).



٢- وقال سُفيانُ بنُ عُيَينةَ-رحمه الله-: قال عَلقَمةُ بنُ لَبيدٍ العُطارديُّ لابنِه:" يا بُنيَّ، إذا نزعَتْك إلىٰ صُحبةِ الرِّجالِ حاجةٌ فاصحَبْ منهم من إنْ تُحِبَّه زانك، وإن خَدَمْتَه صانك، وإن أصابَتْك خَصاصةٌ[1] مانَكَ[2]، وإنْ قُلتَ صَدَّق قولَك، وإنْ صُلْتَ شَدَّ صَولَك[3]، وإنْ مدَدْتَ يَدَك بفَضلٍ مَدَّها، وإن رأىٰ منك حَسَنةً عَدَّها، وإن سألْتَه أعطاك، وإن سكَتَّ عنه ابتداك، وإنْ نزَلَتْ بك إحدىٰ المُلِمَّاتِ[4] آساك، مَن لا يأتيك منه البَوائِقُ[5]، ولا تختَلِفُ عليك منه الطَّرائِقُ، ولا يخذُلُك عِندَ الحقائِقِ، وإن حاول حويلًا آمَرَك، وإن تنازَعْتُما مُنفِسًا[6] آثَرَك ". (عيون الأخبار لابن قتيبة:٣/ ٦).

٣- وقال أبو عُبَيدةَ مَعمَرُ بنُ المُثَنَّىٰ-رحمه الله-:" مَرَّ قَيسُ بنُ زُهَيرٍ ببِلادِ غَطَفانَ، فرأىٰ ثروةً وعَددًا، فكَرِهَ ذلك، فقيل له: أيسوءُك ما يَسُرُّ النَّاسَ؟ قال: إنَّك لا تدري أنَّ مع النِّعمةِ والثَّروةِ التَّحاسُدَ والتَّخاذُلَ، وأنَّ مع القِلَّةِ التَّحاشُدَ والتَّناصُرَ ". (العقد الفريد لابن عبد ربه:٢/ ١٧١).

٤- وقيل لابنِ السَّمَّاكِ-رحمه الله-: أيُّ الإخوانِ أحَقُّ ببقاءِ المودَّةِ؟ قال:" الوافِرُ دِينُه، الوافي عَقلُه، الذي لا يَمَلُّكَ علىٰ القُربِ، ولا ينساك علىٰ البُعدِ، إن دنَوتَ منه داناك، وإن بَعُدتَ عنه راعاك، وإن استعَنْتَ به عَضَدَك، وإن احتَجْتَ إليه رفَدَك، وتكونُ موَدَّةُ فِعلِه أكثَرَ من مودَّةِ قولِه ". (المستطرف للأبشيهي ص: ١٣٠).

٥- وقال أبو حامِدٍ الغَزاليُّ-رحمه الله-:" حَقُّ الأُخُوَّةِ التَّشميرُ في الحمايةِ والنُّصْرةِ... فأخسِسْ بأخٍ يراك والكِلابُ تفترِسُك وتُمَزِّقُ لُحومَك وهو ساكِتٌ لا تحَرِّكُه الشَّفَقةُ والحَمِيَّةُ للدَّفعِ عنك!". (إحياء علوم الدين:٢/ ١٨١).

---

[1]- الخَصاصةُ: الحاجةُ. (جمهرة اللغة لابن دريد:١/ ١٠٥).

[2]- مانَكَ: أي: احتَمَل مُؤنَتَك. (تاج العروس للزبيدي:٣٦/ ١٣٩).

[3]- يقال: صال عليه: استطال ووَثَب وسَطَا. (لسان العرب لابن منظور:٤/ ٢٥٢٨).

[4]- المُلِمَّاتُ: جَمعُ المُلِمَّةِ، وهي النَّازِلةُ الشَّديدةُ من نوازِلِ الدَّهرِ. يُنظَر: (تاج العروس للزبيدي:٣٣/ ٤٤٣).

[5]- البَوائِقُ: جمعُ البائقةِ، وهي النَّازِلةُ، أي: الدَّاهيةُ والشَّرُّ الشَّديدُ. (المصباح المنير للفيومي:١/ ٦٦).

[6] - المُنفِسُ: كُلُّ شيءٍ له خَطَرٌ وقَدْرٌ، يقالُ: شيءٌ نفيسٌ ومنفوسٌ ومُنفِسٌ: إذا كان يُتنافَسُ فيه ويُرغَبُ إليه لخطَرِه. (تهذيب اللغة للأزهري:١٣/ ١٠) (تاج العروس للزبيدي:١٦/ ٥٦٧).



٦- وقال الصَّفَديُّ-رحمه الله-:" اعلَمْ أنَّه قد جُبِلت النُّفوسُ الأبيَّةُ علىٰ تحقيقِ الظُّنونِ بها، وتصديقِ الأمَلِ فيها، والرَّجاءِ فيما يُطلَبُ منها من نُصرةٍ وإعانةٍ وإزالةِ ضَرورةٍ وسَدِّ خَلَّةٍ وإيواءٍ وذَبٍّ وغيرِ ذلك، والنُّفوسُ اللَّئيمةُ بخِلافِ ذلك؛ تَكذِبُ الظُّنونُ فيها... ويتعَيَّنُ علىٰ ذوي المروءاتِ احتمالُ الأذىٰ والضَّرَرِ في تصديقِ أمَلِ الآمِلِ، وتحقيقِ رَجائِه، وإيصالِه إلىٰ مآرِبِه، وتبليغِه مقاصِدَه... ومن الكَلِمِ النَّوابغِ: مَحَكُّ المودَّةِ والإخاءِ حالَ الشِّدَّةِ لا الرَّخاءِ ". (الغيث المنسجم ص: ١٩٨). (الكلم النوابغ للزمخشري ص: ٣١).

ومن فضل وفوائِدُ النُّصْرَةِ كذلك:

١- تقديسُ اللهِ للأمَّةِ، وتطهيرُها.

٢- في النُّصْرةِ إقامةُ الشَّرعِ بإظهارِ العَدْلِ.

قال ابنُ الجَوزيِّ-رحمه الله-:" وأمَّا نَصرُ المظلومِ فلمعنَيَينِ؛ أحَدُهما: إقامةُ الشَّرعِ بإظهارِ العَدْلِ، والثَّاني: نصرُ الأخِ المُسلِم، أو الدَّفعُ عن الكِتابيِّ وفاءً بالذِّمَّةِ ". (كشف المشكل من حديثِ الصحيحين:١/ ٤٥٤).

٣- أنَّ اللهَ عزَّ وجَلَّ يقيمُ وينصُرُ ويُمَكِّنُ الدَّولةَ التي يُنصَرُ فيها المظلومُ، ويأخُذُ فيها حَقَّه.

قال ابنُ تَيميَّةَ-رحمه الله-:" إنَّ اللهَ يقيمُ الدَّولةَ العادلةَ وإن كانت كافِرةً، ولا يقيمُ الدَّولةَ الظَّالمةَ وإن كانت مُسلِمةً ". (مجموع الفتاوىٰ:٢٨/ ١٤٦).



٤- نجاةُ الأُمَّةِ من العقابِ، فإنْ لم تَنصُرِ الأمَّةُ المظلومَ، وتأخُذْ علىٰ يَدِ الظَّالمِ، وتمنَعْه من الظُّلمِ، فسيَعُمُّ العقابُ الجميعَ؛ قال تعالىٰ: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (الأنفال: ٢٥).

٥- أنَّ الذي ينصُرُ المظلومَ ينصُرُه اللهُ، والجزاءُ من جِنسِ العَمَلِ، فاللهُ سُبحانَه وتعالىٰ يُسَخِّرُ له من يَقِفُ إلىٰ جانِبِه ويَنصُرُه.

٦- نجاةُ الأمَّةِ من الفِتنةِ والفِسادِ؛ قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ(٧٢) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ (الأنفال: ٧٢،٧٣).

قال الطَّبَريُّ-رحمه الله-:" إلَّا تفعَلوا ما أمَرْتُكم به من التَّعاوُنِ والنُّصْرةِ علىٰ الدِّينِ، تكُنْ فِتنةٌ في الأرضِ...". (جامع البيان:١٤/ ٨٧).



٦- فضل النصيحة[1]:

أولًا: فضل النصيحة مِن القرآنِ الكريمِ:

أمَر اللهُ تعالىٰ في كثيرٍ مِن الآياتِ بالدَّعوةِ إلىٰ الخيرِ، والأمرِ بالمعروفِ والنَّهيِ عن المُنكَرِ، والتَّواصي بالحقِّ، وأثنىٰ علىٰ مَن قام بها، ومن ذلك:

١- قوله تعالىٰ: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَىٰ الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٤)

قال السَّعديُّ-رحمه الله-:" يَدْعُونَ إِلَىٰ الْخَيْرِ: وهو الدِّينُ؛ أصولُه، وفُروعُه، وشرائِعُه، وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ: وهو ما عُرِف حُسنُه شَرعًا وعَقلًا، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ: وهو ما عُرِف قُبحُه شَرعًا وعَقلًا، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ: المُدرِكونَ لكُلِّ مطلوبٍ، النَّاجونَ مِن كُلِّ مرهوبٍ، ويدخُلُ في هذه الطَّائِفةِ أهلُ العِلمِ والتَّعليمِ، والمُتصَدُّونَ للخَطابةِ ووَعظِ النَّاسِ عُمومًا وخُصوصًا، والمُحتسِبونَ الذين يقومونَ بإلزامِ النَّاسِ بإقامةِ الصَّلواتِ، وإيتاءِ الزَّكاةِ، والقِيامِ بشرائِعِ الدِّينِ، ويَنهَونَهم عن المُنكَراتِ، فكُلُّ مَن دعا النَّاسَ إلىٰ خيرٍ علىٰ وَجهِ العُمومِ، أو علىٰ وَجهِ الخُصوصِ، أو قام بنصيحةٍ عامَّةٍ أو خاصَّةٍ؛ فإنَّه داخِلٌ في هذه الآيةِ الكريمةِ ". (تيسير الكريم الرحمن ص: ٩٧١).

٢- وقال تعالىٰ في الحَثِّ علىٰ التَّواصي بالخيرِ، وهو أعظَمُ ضُروبِ النَّصيحةِ، ومِن سُبلِ النَّجاةِ مِن الخُسرانِ: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ(٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (العصر:٣،٢).

قال الرَّازيُّ-رحمه الله-:" هذه الآيةُ فيها وَعيدٌ شديدٌ، وذلك لأنَّه تعالىٰ حكَم بالخَسارِ علىٰ جميعِ النَّاسِ إلَّا مَن كان آتِيًا بهذه الأشياءِ الأربعةِ، وهي: الإيمانُ، والعَمَلُ الصَّالِحُ، والتَّواصي بالحقِّ، والتَّواصي بالصَّبرِ؛ فدلَّ ذلك علىٰ أنَّ النَّجاةَ مُعلَّقةٌ بمجموعِ هذه الأمورِ، وأنَّه كما يلزَمُ

---

[1]- موسوعة الأخلاق والسلوك- الدرر السنية.



المُكلَّفَ تحصيلُ ما يخُصُّ نَفسَه فكذلك يلزَمُه في غَيرِه أمورٌ؛ منها: الدُّعاءُ إلىٰ الدِّينِ، والنَّصيحةُ، والأمرُ بالمعروفِ، والنَّهيُ عن المُنكَرِ، وأن يُحِبَّ له ما يُحِبُّ لنَفسِه ". (مفاتيح الغيب:٣٢/ ٢٨٢).

٣- وقال تعالىٰ في بَيانِ السِّمةِ المُميِّزةِ لهذه الأمَّةِ: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ ﴾ (آل عمران: ١١٠).

قال السَّعديُّ-رحمه الله-:" هذا تفضيلٌ مِن اللهِ لهذه الأمَّةِ بهذه الأسبابِ التي تميَّزوا بها، وفاقوا بها سائِرَ الأمَمِ، وأنَّهم خيرُ النَّاسِ للنَّاسِ؛ نُصحًا، ومحبَّةً للخيرِ، ودعوةً، وتَعليمًا، وإرشادًا، وأمرًا بالمعروفِ، ونَهيًا عن المُنكَرِ، وجَمعًا بَينَ تكميلِ الخَلقِ والسَّعيِ في منافِعِهم، بحسَبِ الإمكانِ ". (تيسير الكريم الرحمن ص: ٩٧٢).

٤- وقال تعالىٰ آمِرًا المُسلِمينَ جميعًا بالتَّعاوُنِ فيما بَينَهم علىٰ البرِّ والتَّقوىٰ، ولا شكَّ أنَّ النَّصيحةَ النَّافِعةَ مِن أوجهِ البرِّ والتَّقوىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَىٰ الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَىٰ الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (المائدة:٢).

قال القُشَيريُّ-رحمه الله-:" المُعاوَنةُ علىٰ البرِّ بحُسنِ النَّصيحةِ وجميلِ الإشارةِ للمُؤمِنينَ، والمُعاوَنةِ علىٰ التَّقوىٰ بالقَبضِ علىٰ أيدي الخطَّائِينَ بما يقتضيه الحالُ مِن جميلِ الوَعظِ، وبليغِ الزَّجرِ، وتمامِ المَنعِ، علىٰ ما يقتضيه شَرطُ العِلمِ ". (لطائف الإشارات:١/ ٣٩٨).

ثانيًا: فضل النصيحة مِن السُّنَّةِ النَّبويَّةِ:

١- وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هُرَيرةَ ﵁ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال:" حقُّ المُسلِمِ علىٰ المُسلِمِ سِتٌّ، قيل: ما هنَّ يا رسولَ اللهِ؟ قال: إذا لَقيتَه فسلِّمْ عليه، وإذا دعاك فأجِبْه، وإذا استنصَحك فانصَحْ له، وإذا عطَس فحمِد اللهَ فسَمِّتْه[1]، وإذا مرِض فعُدْه، وإذا مات فاتَّبِعْه ".

---

[1]- فسَمِّتْه: أي: أن يقولَ له: يرحمُك اللهُ، والتَّسميتُ والتَّشميتُ بالسِّين والشِّين، يُقالُ: شَمَّتَه وسَمَّتَه. (المنتقىٰ شرح الموطأ للباجي:١/ ١٩١) (النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير:٢/ ٤٩٩).



وقولُه ﷺ:" وإذا استنصَحك فانصَحْ له": أي: إذا استشارك في عَملٍ مِن الأعمالِ: هل يعمَلُه أم لا، فانصَحْ له بما تُحِبُّه لنفسِك؛ فإن كان العَملُ نافِعًا مِن كُلِّ وَجهٍ فحُثَّه علىٰ فِعلِه، وإن كان مُضرًّا فحذِّرْه منه، وإن احتوىٰ علىٰ نَفعٍ وضَررٍ فاشرَحْ له ذلك، ووازِنْ بَينَ المصالِحِ والمفاسِدِ، وكذلك إذا شاوَرك علىٰ مُعامَلةِ أحدٍ مِن النَّاسِ، أو تزويجِه، أو التَّزوُّجِ منه، فابذُلْ له مَحضَ نصيحتِك، وأعمِلْ له مِن الرَّأيِ ما تعمَلُه لنَفسِك، وإيَّاك أن تغُشَّه في شيءٍ مِن ذلك؛ فمَن غشَّ المُسلِمينَ فليس منهم، وقد ترَك واجِبَ النَّصيحةِ، وهذه النَّصيحةُ واجِبةٌ مُطلَقًا، ولكنَّها تتأكَّدُ إذا استنصَحك وطلَب منك الرَّأيَ النَّافِعَ؛ ولهذا قيَّده في هذه الحالةِ التي تتأكَّدُ ". (بهجة قلوب الأبرار للسعدي ص: ١١٢).

٢- وأخرج البخاري ومسلم من حديث جَريرِ بنِ عبدِ اللهِ ﵁ قال:" بايَعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ علىٰ إقامِ الصَّلاةِ، وإيتاءِ الزَّكاةِ، والنُّصحِ لكُلِّ مُسلِمٍ ".

قال الخطَّابيُّ-رحمه اللهُ-:" جعَل رسولُ اللهِ ﷺ نصيحةَ المُسلِمينَ شَرطًا في الدِّينِ يُبايَعُ عليه، كالصَّلاةِ والزَّكاةِ؛ ولذلك تراه قرَنه بهما ". (أعلام الحديث:١/ ١٨٧).

وقال ابنُ حَجرٍ-رحمه اللهُ-:" فائِدةُ التَّقييدِ بالمُسلِمِ للأغلَبِ، وإلَّا فالنُّصحُ للكافِرِ مُعتبَرٌ بأن يُدعىٰ إلىٰ الإسلامِ، ويُشارَ عليه بالصَّوابِ إذا استَشار". (فتح الباري:١/ ١٤٠).

٣- وأخرج الإمام مسلم من حديث تميمٍ الدَّاريِّ ﵁ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ:" الدِّينُ النَّصيحةُ. قُلْنا: لمَن؟ قال: للهِ ولكتابِه ولرسولِه، ولأئمَّةِ المُسلِمينَ وعامَّتِهم ".

قال النووي-رحمه الله-:" أمَّا النَّصيحةُ للهِ تعالىٰ فمعناها منصَرِفٌ إلىٰ الإيمانِ به، ونفي الشريكِ عنه، وتركِ الإلحادِ في صفاتِه، ووصفِه بصفاتِ الكمالِ والجلالِ كُلِّها، وتنزيهِه سُبحانَه وتعالىٰ من جميعِ النَّقائصِ، والقيامِ بطاعتِه، واجتنابِ معصيتِه، والحبِّ فيه والبُغضِ فيه، وموالاةِ من أطاعه ومعاداةِ من عصاه، وجهادِ من كفَرَ به، والاعترافِ بنعمتِه وشكرِه عليها... وأمَّا النَّصيحةُ لكتابِه سُبحانَه وتعالىٰ فالإيمانُ بأنَّ كلامَ اللهِ تعالىٰ وتنزيلَه لا يشبِهُه شيءٌ من كلامِ الخلقِ ولا يقدِرُ علىٰ مثلِه أحدٌ من الخَلقِ، ثُمَّ تعظيمُه وتلاوتُه حَقَّ تلاوتِه وتحسينُها والخشوعُ عندَها... وأمَّا



النَّصيحةُ لرسولِ اللهِ ﷺ فتصديقُه علىٰ الرِّسالةِ، والإيمانُ بجميعِ ما جاء به، وطاعتُه في أمرِه ونهيِه، ونصرتُه حيًّا وميتًا، ومعاداةُ من عاداه وموالاةُ من والاه، وإعظامُ حقِّه، وتوقيرُه، وإحياءُ طريقتِه وسُنَّتِه، وبَثُّ دعوتِه، ونشرُ شريعتِه، ونفيُ التُّهمةِ عنها، واستثارةُ علومِها والتفَقُّهُ في معانيها، والدُّعاءُ إليها ". (شرح النووي علىٰ مسلم:٢/ ٣٨) (معالم السنن للخطابي:٤/ ١٢٦).

وقال النَّوويُّ-رحمه الله-:" هذا حديثٌ عظيمُ الشَّأنِ، وعليه مَدارُ الإسلامِ...، وأمَّا ما قاله جماعاتٌ مِن العُلماءِ: إنَّه أحدُ أرباعِ الإسلامِ، أي: أحدُ الأحاديثِ الأربعةِ التي تجمَعُ أمورَ الإسلامِ، فليس كما قالوه، بل المدارُ علىٰ هذا وَحدَه ". (شرح النووي علىٰ صحيح مسلم:٢/ ٣٧).

والمقصودُ مِن إيرادِ الحديثِ هنا ذِكرُ النَّصيحةِ لأئمَّةِ المُسلِمينَ وعامَّتِهم؛ فالنَّصيحةُ لأئمَّةِ المُسلِمينَ إعانتُهم علىٰ ما حمَلوا القِيامَ به، وتَنبيهُهم عند الغَفلةِ، وسَدُّ خَلَّتِهم عندَ الهَفوةِ، وجمعُ الكلمةِ عليهم، ورَدُّ القُلوبِ النَّافِرةِ إليهم، ومِن أعظَمِ نصيحتِهم دَفعُهم عن الظُّلمِ بالتي هي أحسَنُ، ومِن جملةِ أئمَّةِ المُسلِمينَ أئمَّةُ الاجتِهادِ، وتقَعُ النَّصيحةُ لهم ببثِّ عُلومِهم، ونَشرِ مناقِبِهم، وتحسينِ الظَّنِّ بهم، والنَّصيحةِ لعامَّةِ المُسلِمينَ، والشَّفقةِ عليهم، والسَّعيِ فيما يعودُ نَفعُه عليهم، وتعليمِهم ما ينفَعُهم، وكفِّ وُجوهِ الأذىٰ عنهم، وأن يُحِبَّ لهم ما يُحِبُّ لنَفسِه، ويكرَهَ لهم ما يكرَهُ لنَفسِه ". (فتح الباري لابن حجر:١/ ١٣٨).

والمُرادُ بأئمَّةِ المُسلِمينَ الخُلفاءُ وغَيرُهم ممَّن يقومُ بأمورِ المُسلِمينَ مِن أصحابِ الوِلاياتِ، وهذا هو المشهورُ، وذكَر بعضُ العُلماءِ أنَّه قد يتأوَّلُ ذلك علىٰ الأئمَّةِ الذين هُم عُلماءُ الدِّينِ، وأنَّ مِن نصيحتِهم قَبولَ ما روَوه، وتقليدَهم في الأحكامِ، وإحسانَ الظَّنِّ بهم، وأمَّا عامَّةُ المُسلِمينَ فهُم مَن عدا وُلاةَ الأمرِ. (شرح النووي علىٰ مسلم:٢/ ٣٨). (معالم السنن للخطابي:٤/ ١٢٦).

٤- وأخرج البخاري من حديث النُّعمانِ بنِ بَشيرٍ-رضِيَ اللهُ عنهما- عن النَّبيِّ ﷺ قال:" مَثلُ القائِمِ علىٰ حُدودِ اللهِ والواقِعِ فيها، كمَثلِ قومٍ استهَموا علىٰ سفينةٍ، فأصاب بعضُهم أعلاها وبعضُهم أسفَلَها، فكان الذين في أسفَلِها إذا استقَوا مِن الماءِ مرُّوا علىٰ مَن فَوقَهم، فقالوا: لو أنَّا

خرَقْنا في نَصيبِنا خَرقًا ولم نُؤذِ مَن فَوقَنا، فإن يترُكوهم وما أرادوا هلَكوا جميعًا، وإن أخَذوا علىٰ أيديهم نجَوا، ونجَوا جميعًا ".

ففي هذا الحديثِ بيَّن الرَّسولُ ﷺ مسؤوليَّةَ المجتمَعِ المُسلِمِ، ووُجوبَ التَّناصُحِ فيما بَينَهم، وأثَرَ ذلك في نجاةِ المُسلِمينَ مِن الفِتنِ والأحداثِ. (أصول الدعوة وطرقها لجامعة المدينة العالمية ص: ٢٠).

٥- وأخرج البخاري من حديث أنسٍ ﷺ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ:" انصُرْ أخاك ظالِمًا أو مظلومًا، فقال رجُلٌ: يا رسولَ اللهِ، أنصُرُه إذا كان مظلومًا، أفرأَيتَ إذا كان ظالِمًا كيف أنصُرُه؟ قال: تحجِزُه، أو تمنَعُه مِن الظُّلمِ؛ فإنَّ ذلك نَصرُه ".

فالمظلومُ في حقِّه أو مالِه يمنَعُ عنه الظُّلمَ، ويرفَعُ عنه الحَيفَ بكُلِّ ما يُستَطاعُ مِن الوسائِلِ، والقَصدُ أن تكونَ يدٌ معَ يدِ المظلومِ حتَّىٰ يأخُذَ حقَّه، وأمَّا نَصرُ الظَّالِمِ فمَنعُه عن الظُّلمِ، فإن أراد استلابَ مالٍ حُلْتَ بَينَه وبَينَه، وأخذْتَ بيَدِه، وإن أراد البَطشَ ببريءٍ ضرَبْتَ علىٰ يَدِه إن كانت يدُك أقوىٰ مِن يَدِه، وتُراعي الحِكمةَ لئلَّا ينقلِبَ ظالِمًا لك، وإن كانت النَّصيحةُ رادِعةً سلَكْتَها وإلَّا فتستعمِلُ معَه القوَّةَ حتَّىٰ يرجِعَ إلىٰ الحقِّ، وطُرُقُ الظُّلمِ كثيرةٌ جدًّا، ووسائِلُه جَمَّةٌ، وكُلُّ المُسلِمِ علىٰ المُسلِمِ حَرامٌ؛ دَمُه، ومالُه، وعِرضُه. (موارد الظمآن لدروس الزمان لعبد العزيز السلمان:٥/ ٤٨).

ثالثًا: فضل النصيحة مِن أقوالِ السَّلفِ والعُلماءِ:

١- قال الفُضَيلُ بنُ عِياضٍ-رحمه الله-:" الحُبُّ أفضَلُ مِن الخَوفِ، ألا ترىٰ إذا كان لك عَبدانِ أحدُهما يُحبُّك، والآخَرُ يخافُك، فالذي يُحبُّك منهما ينصَحُك شاهِدًا كنْتَ أو غائِبًا؛ لحُبِّه إيَّاك، والذي يخافُك عسىٰ أن ينصَحَك إذا شهِدْتَ لِما يخافُ، ويغشُّك إذا غِبتَ، ولا ينصَحُك ". (جامع العلوم والحكم لابن رجب:١/ ٢١٩).

٢- وقال الحَسنُ-رحمه الله-:" إنَّك لن تبلُغَ حقَّ نصيحتِك لأخيك حتَّىٰ تأمُرَه بما تعجِزُ عنه ". (المصدر السابق:١/ ٢٢٤)

- وقال الحَسنُ أيضًا:" المُؤمِنُ شُعبةٌ مِن المُؤمِنِ، وهو مِرآةُ أخيه، إن رأىٰ منه ما لا يُعجِبُه سدَّده وقوَّمه، ونصَحه في السِّرِّ والعَلانيَةِ ". (روضة العقلاء لابن حبان ص: ١٩٥).

٣- وسُئِل ابنُ المُبارَكِ-رحمه الله-: أيُّ الأعمالِ أفضَلُ؟ قال:" النُّصحُ للهِ، قيل: فالأمرُ بالمعروفِ، والنَّهيُ عن المُنكَرِ؟ قال: جَهدُه إذا نصَح ألَّا يأمُرَ ولا يَنهىٰ ". (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن أبي الدنيا ص: ١٠٧).

٤- وقال عُمرُ بنُ عبدِ العزيزِ-رحمه الله-:" لو أنَّ المرءَ لا يعِظُ أخاه حتَّىٰ يُحكِمَ أمرَ نَفسِه، ويُكمِلَ الذي خُلِق له مِن عِبادةِ ربِّه، إذن لتواكَل النَّاسُ الخيرَ، وإذن يُرفَعُ الأمرُ بالمعروفِ والنَّهيُ عن المُنكَرِ، وقلَّ الواعِظونَ والسَّاعونَ للهِ عزَّ وجلَّ بالنَّصيحةِ في الأرضِ ". (المصدر السابق ص: ١٣٩).

٥- وقال الفُضَيلُ بنُ عِياضٍ-رحمه الله-:" ما أدرَك عندَنا مَن أدرَك بكثرةِ الصَّلاةِ والصِّيامِ، وإنما أدرَك عندنا بسخاءِ الأنفُسِ، وسلامةِ الصُّدورِ، والنُّصحِ للأمَّةِ ". (جامع العلوم والحكم لابن رجب:١/ ٢٢٤).

- وقال الفضيلُ بنُ عياضٍ أيضًا:" الغبطةُ مِن الإيمانِ، والحسدُ مِن النِّفاقِ، والمؤمنُ يغبِطُ ولا يحسدُ، والمنافقُ يحسُدُ ولا يغبِطُ، والمؤمنُ يسترُ ويعِظُ وينصَحُ، والفاجِرُ يهتِكُ ويُعيِّرُ ويُفشي ".

(حلية الأولياء لأبي نعيم:٨/ ٩٥). (جامع العلوم والحكم لابن رجب:١/ ٢٢٤)

٦- وقال سفيانُ الثوريُّ-رحمه الله- فيما أوصَىٰ به عليَّ بنَ الحسنِ السُّلميَّ:" انصَحْ لكلِّ مؤمنٍ إذا سألك في أمرِ دينِه، ولا تكتُمَنَّ أحدًا مِن النَّصيحةِ شيئًا إذا شاورك فيما كان لله فيه رضا، وإيَّاك أنْ تخونَ مؤمنًا، فمَنْ خان مؤمنًا فقد خان الله ورسولَه، وإذا أحببْتَ أخاك في الله فابذُلْ له نفسَك ومالَك ". (حلية الأولياء لأبي نعيم:٧/ ٨٣).

٧- وقال مَعمَرٌ-رحمه الله-:" كان يُقالُ: أنصَحُ النَّاسِ لك مَن خاف اللهَ فيك، وكان السَّلفُ إذا أرادوا نصيحةَ أحدٍ وعَظوه سِرًّا حتَّىٰ قال بعضُهم: مَن وعَظ أخاه فيما بَينَه وبَينَه فهي نصيحةٌ، ومَن وعَظه علىٰ رُؤوسِ النَّاسِ فإنَّما وبَّخه ". (جامع العلوم والحكم لابن رجب:١/ ٢٢٤)



٨- وقال يحيىٰ-رحمه الله-:" ما رأَيتُ علىٰ رجُلٍ خطًا إلَّا ستَرْتُه، وأحببْتُ أن أُزيِّنَ أمرَه، وما استقبَلْتُ رجُلًا في وَجهِه بأمرٍ يكرَهُه، ولكن أُبيِّنُ له خطأَه فيما بَيني وبَينَه، فإن قبِل ذلك، وإلَّا ترَكْتُه ". (سير أعلام النبلاء للذهبي:١١/ ٨٣).

٩- وقال عبدُ العزيزِ بنُ أبي روادٍ-رحمه الله-:" كان مَن كان قَبلَكم إذا رأىٰ الرَّجلُ مِن أخيه شيئًا يأمُرُه في رِفقٍ، فيُؤجَرُ في أمرِه ونَهيِه، وإنَّ أحدَ هؤلاء يَخرَقُ بصاحِبِه، فيستغضِبُ أخاه، ويهتِكُ سِترَه ". (جامع العلوم والحكم لابن رجب:١/ ٢٢٤).

١٠- وقال الحارِثُ المُحاسِبيُّ-رحمه الله-:" اعلَمْ أنَّ مَن نصَحك فقد أحَبَّك، ومَن داهَنك فقد غشَّك، ومَن لم يقبَلْ نصيحتَك فليس بأخٍ لك، قال عُمرُ بنُ الخطَّابِ رضِي اللهُ عنه: لا خَيرَ في قومٍ ليسوا بناصِحينَ، ولا خيرَ في قومٍ لا يُحبُّونَ النَّاصِحينَ ". (رسالة المسترشدين ص: ٧١).

١١- وقال ابنُ عقيلٍ-رحمه الله- في" الفنونِ": مِن أعظمِ منافعِ الإسلامِ، وآكدِ قواعدِ الأديانِ: الأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عن المنكرِ والتناصحُ. فهذا أشقُّ ما تحمَّله المكلَّفُ؛ لأنَّه مقامُ الرُّسلِ، حيثُ يثقلُ صاحبُه علىٰ الطباعِ، وتنفِرُ منه نفوسُ أهلِ اللذَّاتِ، ويمقُتُه أهلُ الخلاعةِ، وهو إحياءٌ للسُّننِ، وإماتةٌ للبدعِ". (الفروع لابن مفلح:٣/ ١٨٠).

١٢- وقال ابنُ تيميَّةَ-رحمه الله-:" أعظَمُ ما عُبِد اللهُ به نصيحةُ خَلقِه ". (مجموع الفتاوىٰ:٢٨/ ٦١٥).

١٣- وقال الذهبي-رحمه الله-:" مَن لم يَنصَحْ لله وللأئمةِ وللعامَّةِ، كان ناقصَ الدِّينِ. وأنتَ لو دُعِيتَ: يا ناقصَ الدِّينِ، لغضِبْتَ، فقلْ لي: متىٰ نصَحْتَ لهؤلاء؟ كلَّا واللهِ، بلْ ليتَك تسكُتُ، ولا تنطِقُ، أوْ لا تُحسِّنُ لإمامِك الباطلَ، وتجرِّئُه علىٰ الظُّلمِ وتغُشُّه، فمِن أجلِ ذلك سقطْتَ مِن عينِه، ومِن أعينِ المؤمنينَ". (سير أعلام النبلاء:١١/ ٥٠٠).



ومن فضل فوائِدُ النَّصيحةِ كذلك:

١- نَيلُ الأجرِ، والجزاءُ الحَسنُ علىٰ بَذلِ النَّصيحةِ.

٢- الابتعادُ عن سَخَطِ اللهِ وعُقوبتِه.

٣- النَّصيحةُ تُشعِرُ المُسلِمَ بواجِبِه تجاهَ إخوانِه ومُجتمَعِه وأمَّتِه.

٤- مِن أسبابِ انتِشارِ الخيرِ وشُيوعِ الفَضيلةِ وانحِسارِ الشَّرِّ والرَّذيلةِ.

٥- النَّصيحةُ أداءٌ لحقٍّ مِن حُقوقِ الأخوَّةِ.

٦- دوامُ المحبَّةِ والأُلفةِ.

٧- مِن أسبابِ تدارُكِ المنصوحِ لأخطائِه وإصلاحِها.

٨- بَذلُ النَّصيحةِ امتثالٌ لأمرِ اللهِ ورسولِه.

٩- توثيقُ روابِطِ الأخوَّةِ.



٧- فضل الشورى في الإسلام:

إن التعريف الاصطلاحي للشورىٰ: رجوع الحاكم أو القاضي أو آحاد المكلفين في أمر لم يُستَبن حكمه بنص قرآني أو سنة أو ثبوت إجماع إلىٰ من يُرجىٰ منهم معرفته بالدلائل الاجتهادية من العلماء المجتهدين ومن قد ينضم إليهم في ذلك من أولي الدراية والاختصاص. (الدولة الزنكية للصلابي ص٢٠٧)

وهكذا فإن الشورىٰ في الاصطلاح الذي يقضي به الإسلام يمكن أن تتسع لتُعبِّر عن: استخلاص الرأي الجامع من خلال الحوار الجامع، وهذا هو مطلوب الشورىٰ فإن لم يكن رأي جامع فرأي راجح لدىٰ استصدار القرار، مما ينعقد عليه العمل الجامع لدىٰ التطبيق والتنفيذ. (الشوري لأحمد الإمام ص ١٣)

وقد حث رب العالمين في كتابه الكريم على مبدأ الشورى:

١- قال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (سورة الشورىٰ: ٣٨)

قال السعدي-رحمه الله- في تفسير هذه الآية:" وقوله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ أي: انقادوا لطاعته، ولبَّوْا دعوته، وصار قصدهم رضوانه، وغايتهم الفوز بقربه. ومن الاستجابة للّه، إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، فلذلك عطفهما علىٰ ذلك، من باب عطف العام علىٰ الخاص، الدال علىٰ شرفه وفضله فقال: ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ أي: ظاهرها وباطنها، فرضها ونفلها. ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ من النفقات الواجبة، كالزكاة والنفقة علىٰ الأقارب ونحوهم، والمستحبة، كالصدقات علىٰ عموم الخلق. ﴿وَأَمْرُهُمْ﴾ الديني والدنيوي ﴿شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ أي: لا يستبد أحد منهم برأيه في أمر من الأمور المشتركة بينهم، وهذا لا يكون إلا فرعا عن اجتماعهم وتوالفهم وتوادِدهم وتحاببهم وكمال عقولهم، أنهم إذا أرادوا أمرا من الأمور التي تحتاج إلىٰ إعمال الفكر والرأي فيها، اجتمعوا لها وتشاوروا وبحثوا فيها، حتىٰ إذا تبينت لهم المصلحة، انتهزوها وبادروها، وذلك



كالرأي في الغزو والجهاد، وتولية الموظفين لإمارة أو قضاء، أو غيره، وكالبحث في المسائل الدينية عموما، فإنها من الأمور المشتركة، والبحث فيها لبيان الصواب مما يحبه الله، وهو داخل في هذه الآية ". اهـ

٢- وقال تعالىٰ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَىٰ اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (سورة آل عمران: ١٥٩)

قال السعدي-رحمه الله- في تفسير هذه الآية:" أي: برحمة الله لك ولأصحابك، منَّ الله عليك أن ألنت لهم جانبك، وخفضت لهم جناحك، وترققت عليهم، وحسنت لهم خلقك، فاجتمعوا عليك وأحبوك، وامتثلوا أمرك. ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا﴾ أي: سيئ الخلق ﴿غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾ أي: قاسيه، ﴿لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ لأن هذا ينفرهم ويبغضهم لمن قام به هذا الخلق السيئ.

فالأخلاق الحسنة من الرئيس في الدين، تجذب الناس إلىٰ دين الله، وترغبهم فيه، مع ما لصاحبه من المدح والثواب الخاص، والأخلاق السيئة من الرئيس في الدين تنفر الناس عن الدين، وتبغضهم إليه، مع ما لصاحبها من الذم والعقاب الخاص، فهذا الرسول المعصوم يقول الله له ما يقول، فكيف بغيره؟! أليس من أوجب الواجبات، وأهم المهمات، الاقتداء بأخلاقه الكريمة، ومعاملة الناس بما يعاملهم به صلىٰ الله عليه وسلم، من اللين وحسن الخلق والتأليف، امتثالا لأمر الله، وجذبا لعباد الله لدين الله.

ثم أمره الله تعالىٰ بأن يعفو عنهم ما صدر منهم من التقصير في حقه صلىٰ الله عليه وسلم، ويستغفر لهم في التقصير في حق الله، فيجمع بين العفو والإحسان.

﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ أي: الأمور التي تحتاج إلىٰ استشارة ونظر وفكر، فإن في الاستشارة من الفوائد والمصالح الدينية والدنيوية ما لا يمكن حصره:

منها: أن المشاورة من العبادات المتقرب بها إلىٰ الله.

ومنها: أن فيها تسميحا لخواطرهم، وإزالة لما يصير في القلوب عند الحوادث، فإن من له الأمر علىٰ الناس- إذا جمع أهل الرأي: والفضل وشاورهم في حادثة من الحوادث- اطمأنت نفوسهم



وأحبوه، وعلموا أنه ليس بمستبد عليهم، وإنما ينظر إلىٰ المصلحة الكلية العامة للجميع، فبذلوا جهدهم ومقدورهم في طاعته، لعلمهم بسعيه في مصالح العموم، بخلاف من ليس كذلك، فإنهم لا يكادون يحبونه محبة صادقة، ولا يطيعونه وإن أطاعوه فطاعة غير تامة.

ومنها: أن في الاستشارة تنور الأفكار، بسبب إعمالها فيما وضعت له، فصار في ذلك زيادة للعقول.

ومنها: ما تنتجه الاستشارة من الرأي: المصيب، فإن المشاور لا يكاد يخطئ في فعله، وإن أخطأ أو لم يتم له مطلوب، فليس بملوم، فإذا كان الله يقول لرسوله صلىٰ الله عليه وسلم وهو أكمل الناس عقلا، وأغزرهم علما، وأفضلهم رأيا: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ فكيف بغيره؟!

ثم قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ أي: علىٰ أمر من الأمور بعد الاستشارة فيه، إن كان يحتاج إلىٰ استشارة ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَىٰ اللهِ﴾ أي: اعتمد علىٰ حول الله وقوته، متبرئا من حولك وقوتك، ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ عليه، اللاجئين إليه. اهـ

فضل وفوائد الشورى في الإسلام:

١- إصابة الحق في الغالب، فإن الآراء إذا عرضت بحرية تامة وأدلىٰ كلٌّ بحجته، وكانت النية صحيحة والهدف هو الوصول إلىٰ الحق، وقدمت المصلحة العامة، وتجرد المتشاورون عن الأهواء والدوافع السيئة مع التوكل علىٰ الله تعالىٰ فلا أشك أن النتائج تكون سليمة والعواقب حميدة والتسديد والتوفيق يتنزل من الله تعالىٰ، وهذا واضح فيما وقع في عهد الصحابة رضوان الله عليهم. (الشورىٰ لأحمد الإمام ص ١٣)

٢- أن العمل بالشورىٰ قربة وطاعة لله عز وجل، ففيه اجتماع الرأي في تحصيل الخير، وتهذيب رأي صاحب الأمر الامتثال لأمر الله سبحانه وتعالىٰ، ومما ورد في شأن ذلك ما قاله: بشار بن برد

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن   بحزم نصيح أو نصيحة حازم   (فقه الشوري للغامدي ص٢١٢)

٣- من أعظم فوائد الشورىٰ تلاقح الأفكار، وتكامل الثقة، وتبادل الخبرة والاطلاع علىٰ ما عند الآخرين، والاستفادة من الخبرات المتنوعة وبعبارة أخرىٰ حصول التكامل بين أفراد المجتمع. (الشورىٰ د. سامىٰ محمد الصلاحات ص٥١)

٤- الشورىٰ تعطي قوة للمجتمع في أكثر من مجال إنساني فعلىٰ سبيل المجال النفسي، فأن الشورىٰ طريق للتخلص من الظواهر المرضية غير الصحية، مثل قلة الإخلاص وضعف الأداء الوظيفي، وإهدار الطاقات المفيدة.

يقول الشعبي-رحمه الله-: الرجال ثلاثة؛ فرجل، ونصف رجل، ولا شيء، فأما الرجل التام؛ فالذي له رأي وهو يستشير، وأما نصف الرجل، فالذي ليس له رأي وهو يستشير، وأما الذي لا شيء، فالذي ليس له رأي، ولا يستشير. (فقه الشورىٰ للغامدي ص ٢١٢)

٥- الشورىٰ تشعر المشاركين بالمسئولية وأنهم مع المسئول يسعون إلىٰ تحقيق المصالح العامة، ودرء المفاسد في عملية تكاملية.

٦- الشورىٰ تولد الثقة بين الحاكم والمحكوم وتطيب القلوب، وتجعل من رأي الخليفة أو الحاكم رأىٰ جميع المسلمين بعد التشاور.

٧- تضيق هوة الخلاف بين الراعي ورعيته- والخلاف جائز الوقوع-، ولكل واحد قناعته، ولكن مع مناقشة الآراء وتداولها وظهور الحق يرجع بعض المخالفين عن رأيه وينصاع إلىٰ الحق، وتتقارب وجهات النظر ويعذر بعضهم بعضًا، ويتعاونون علىٰ ما اتفقوا عليه، ويتنازل البعض ويقضي علىٰ وساوس الشيطان، وتتألف القلوب ويتوحد الرأي العام وتضعف حدة الخصوم والمنافسين. (الشورىٰ د. سامىٰ محمد الصلاحات ص٥٢) (فقه الشورىٰ للغامدي ص ٢١٢)

٨- في الشورىٰ وقاية من الاستبداد وتزود الدولة بالكفاءات والقدرات المتميزة وبها تنحصر عيوب التفرد بالقرار.



٩- الشورىٰ تفجر الطاقات الكامنة في أفراد الأمة، وتشجع ذوي الخبرات وتفسح المجال لكل من لديه خير للأمة أن يدلي برأيه وهو آمن فإن قُبِل فذاك، وإن رد فقد أدىٰ ما عليه وأعذر ولا تمس كرامته ولا ينال منه. (الشورىٰ د. سامىٰ محمد الصلاحات ص٥٢)

ولا غنىٰ لولي الأمر عن المشاورة، فإن الله أمر بها نبيه ﷺ وليقتدي به من بعده وليستخرج منهم الرأي فيما لم ينزل فيه وحي من أمر الحرب والأمور الجزئية وغير ذلك، فغيره ﷺ أولىٰ بالمشاورة. (فقه الشورىٰ للغامدي ص ٢١٣)

وينبني علىٰ هذه الشورىٰ، طاعة الأمة للحاكم فيما يصدر عنه من القرارات تهم الصالح العام. (السياسة الشرعية لابن تيمية ص١٥٧)

والشورىٰ من قواعد الحكم في الإسلام وصفة من صفات المؤمنين سواء الحاكم أو المحكوم فقد وصف الله المؤمنين بقوله: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ وبهذا ينقص الأيمان عند الراعي لعدم امتثاله ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمرِ﴾ وعند الرعية كذلك، كما في تركها مجافاة للسنة والطريقة التي سار عليها أفضل الخلق والخلفاء الراشدين وأصحابه الميامين والقادة الفاتحين، وكبار المصلحين والعلماء الراسخين والدعاة المخلصين.

١٠- مكافحه نزعات التطرف والعنف:

أن محصلة الاجتهاد الجماعي تقود إلىٰ قرارات معتدلة في الغالب، فالتشدد لا يصدر إلا من أفراد ذوي دوافع ومنازع وعقد تحدوهم وتنزع بهم إلىٰ اتخاذ قرارات متطرفة أو متعسفة أو مفارقة لخطة الحكمة والحسنىٰ، ولكن تبادل الآراء الصادرة من أفراد كثر وأصحاب دوافع متباينة يتجه بالقرار إلىٰ الاعتدال والواقعية في إطار" فن الممكن والمفيد " هذا إذا لم يصل بالناس إلىٰ غاية المراد، كما تفسح الشورىٰ مجالًا خصبًا لمناقشة آراء أهل التطرف والعنف الذين يتصورون دائمًا أن آراءهم هي الآراء النهاية في الموضوع- أي موضوع- ويعزفون بطبعهم عن التعرف علىٰ آراء الآخرين، ولكن بجرِّ هؤلاء إلىٰ مجالات الشورىٰ ومشاركة الآخرين لهم في الرأي تتضح لهم القيمة المرجوحة لأفكارهم التي يقدسونها، ولذلك فإن الشورىٰ هي أجدىٰ علاج لحماقات



التطرف وشططه فيجب إعطاء " الكل" متنفسًا لإبداء الفكر والرأي، حتىٰ يختفي التشنج والشعور بالحرمان والكبت والاضطهاد ولذا يحسن البحث عن هذه الطائفة من الناس علىٰ الدوام وإعطاؤها حق القول مهما كان معيبًا، فإخراج آرائهم إلىٰ الضوء هو المقدمة الأولىٰ لدحضها وهزيمتها، فإنها لا تعيش ولا تنتعش إلا في سراديب الظلام. (الشورىٰ د. محمد وقيع الله ص٥٥)

١١- تسديد النظر إلىٰ المشكلة من زوايا متباينة:

إن إخضاع أي مشكلة للتداول الشوري الحر يُمَكّن أهل الشورىٰ من رؤيتها من زوايا واتجاهات متباينة متقاطعة، وبذلك تنضاف الرؤىٰ الجزئية بعضها إلىٰ بعض، وتتضامُّ وتتكامل قدر الإمكان، وتتشكل في كُلٍّ مرئي للجميع ثم تتنسق وتتوحد محاولات التحليل والتشخيص والإسهامات في اقتراح الحلول ولا يتاح ذلك إلا للجماعة المتوحدة لأن العقل الواحد مهما كان كبيرًا نافذًا لا يستطيع أن يُلمَّ بجميع المعلومات المتعلقة بكل المشاكل التي يتعرض لها، ويفهمها، ويحللها ويشخصها، ويقترح الحلول المجدية في شأنها.

ولعل هذا ما عبر عنه بلغة مختلفة الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﵁ إذا قال:" الرأي كالخيط السحيل، والرأيان كالخيطين المبرمين، والثلاثة مرار ولا يكاد ينتقض ". (المصدر السابق ص٥٦)

وأورد الإمام الماوردي-رحمه الله- في هذا المعنىٰ قوله: لم يزل أهل العقول يفزعون إلىٰ الشورىٰ في كل ما يقع بينهم، ويمدحون فاعله، ويذمون المستبد برأيه، والمرتكب لأهوائه وقد قال فيه أحد الشعراء:

خليلي ليس الرأي في صدر واحدٍ أشيرا عليَّ اليوم ما تريان

(عيون الأخبار لابن قتيبة:١/ ٣١)

وقال ابن قتيبة-رحمه الله-: وقرأت في كتاب للهند أن ملكًا استشار وزراء له، فقال أحدهم: الملك الحازم يزداد برأي الوزراء الحزمة كما يزداد البحر بموارده من الأنهار، وينال بالحزم



والرأي ما لا يناله بالقوة والجنود، والمستشير وإن كان أفضل رأيًا من المشير، فإنه يزداد برأيه رأيًا كما تزداد النار بالسليط ضوءًا. (الشورىٰ د. محمد وقيع الله ص٥٢)

١٢- تجاوز الخطوب التي تشل التفكير الفردي:

وتتجلىٰ فضائل الشورىٰ في وقت الخطوب والكروب التي تلحق بالأمم وتكاد تعصف بها عصفًا فيقف الناس منها ثلاثة مواقف متباينة، فمن الناس من يهزمهم الخوف ويشل قدراتهم علىٰ التفكير والتحليل واتخاذ القرار- أي قرار- ومنهم من يثير الخوف مشاعرهم باتجاه التحدي وإثبات الذات والاندفاع الأهوج في المواجهة، فيميلون إلىٰ اتخاذ الحلول القصوىٰ في ذلك الاتجاه، ومنهم من يدعوهم الخوف إلىٰ التراجع والتهادن وربما الاستسلام فيقبلون بالدنية من دينهم ودنياهم معا.

فهذه أصناف ثلاثة من المواقف تجلب خلل الرأي وتقود إلىٰ أسوأ العواقب، ولكن اجتماع الناس بمختلف توجهاتهم علىٰ صعيد واحد في أوقات المحن والدواهي يؤدي إلىٰ تعادل المواقف والوصول إلىٰ الرأي الأصوب قدر الإمكان. (الشورىٰ د. سامىٰ محمد الصلاحات ص٥٤)

١٣- تكامل المعرفة النظرية والعملية:

في أحيان كثيرة يأتي امتياز الرأي من تماسِّه بالواقع المعاش، ويتفوق بتلك الميزة علىٰ الرأي النظري، وإن كان هذا الأخير صحيحًا في إطاره النظري، وحين يكتمل هذان الجانبان الركنيان للعلم: الجانب النظري والجانب العملي، أو جانب فقه الأوراق وفقه الواقع، يأتي القرار أصوب ما يكون، وهنالك من أخبار الشورىٰ في تاريخ الحضارة الإسلامية الكثيرة مما يكشف أن تكامل هذين الجانبين كان من أهم عوامل اتخاذ القرار الصحيح منها- علىٰ سبيل المثال- ما يرويه القلقشندي عن واقعة غزو المسلمين لصقلية فيقول: إن أحد أمرائها التجأ إلىٰ دولة الأغالبة بتونس وطلب منهم العون لرفع الحيف الذي لحق به من أمراء آخرين ببلاده، وجمع أمير بني الأغلب المسمىٰ زيادة الله مجلس شوراه من فقهاء القيروان وقضاتها وأعيانها وبحثوا الأمر مليًّا، ومال



بعض أهل الفقه بمن فيهم الإمام سحنون إلىٰ عدم مهاجمة صقلية لبعدها ولأن بينها وبين المسلمين هدنة وعهدًا، بينما مال آخرون من أهل القضاء وفيهم القاضي أسد بن الفرات لاستقصاء الواقع، كما هو شأن القضاة دائمًا، فأمر باستدعاء بعض رسل الصقليين واستنطقهم إن كان لدىٰ حكومة صقلية أسرىٰ من المسلمين فأقروا بذلك، فاتخذت تلك حجة علىٰ الصقليين؛ لأن شروط الهدنة نصت علىٰ أن تمكن حكومة صقلية أسرىٰ المسلمين من الرجوع إلىٰ بلادهم إن أرادوا، فاتخذ حينها قرار الغزو. (نهاية الأدب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي ص٤٢٧)

فهذا يدل علىٰ الشورىٰ هي التي مهدت إلىٰ القرار الأصوب بجمعها بين الفقهين النظري والعملي علىٰ صعيد واحد، وهذا مجرد مثال من أمثلة كثيرة لتفعيل الشورىٰ في فقه الرأي وفقه الواقع معًا في تاريخ حضارتنا الإسلامية التليدة. (رياض النفوس لأبي عبد الله المالكي:١/ ١٨٦)

هذه من أهم فوائد الشورىٰ التي ذكرها العلماء.



وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة.

وأسأل الله– تعالىٰ- أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منّي بقبول حسن، كما أسأله سبحانه وتعالىٰ أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان علىٰ إخراجها ونشرها......إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا شأن أي عمل بشري فإنه يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صوابًا فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي:

وإن وجدت العيب فسد الخللا جلّ من لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحًا ولوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه نصيبًا

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

هذا والله – تعالىٰ– أعلىٰ وأعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك



المحتويات



